مــركــز الإتــحــاد
للأبــحاث والـتـطـويـر

ورقة سياسيّة

التاريخ: 6-5-2024

تطور تجربة حرب الاستنزاف

بين جبهتي مصر (1968) ولبنان(2023)

يوسف الشيخ

ورقة سياسية

تطور تجربة حرب الاستنزاف

بين جبهتي مصر (1968) ولبنان (2023)

يوسف الشيخ

2024-5-6

تقديم

منذ تطور الأسلحة النارية ووسائل القتال في بداية القرن الثامن عشر، اتسعت الفجوة الفيزيائية بين المقاتلين في ميادين القتال. لم يعد من الضروري القتال الالتحامي الطويل باستخدام السيوف، بل تحولت طرق القتال مع تطور الأسلحة. تجاوز القتال الالتحامي القريب باستخدام البنادق والحربات إلى أقل من 20%. ومع التطور الكبير الذي شهدته صناعة السلاح منذ الحرب العالمية الأولى وحتى بداية القرن الواحد والعشرين، أصبح المقاتل يقف داخل تحصينات ويستخدم مهارته في استخدام الأسلحة لاستهداف خصمه المختبئ أيضًا داخل تحصينات مماثلة. وأصبحت مهمات الالتحام محصورة في القوات الخاصة والكوماندوز، أو بوسائل القتال البرية والبحرية والجوية المأهولة أو غير المأهولة. هذا التطور غير أجيال الحروب والعقائد القتالية، وتأثرت أيضًا بإضافات جديدة ناتجة عن تقنيات التهديف والكشف والاتصال والمجال السايبري. وبالتالي، تقريباً تم إلغاء الاقتراب المباشر في الحروب واستبدل بعنصر المطاولة عن بعد.

هذه التحولات الضخمة في مجال صناعة وتطوير الأسلحة والأشكال الجديدة للحروب قد غيرت نوعًا ما طبيعة الحروب الخاطفة والسريعة، وحولتها إلى حروب طويلة المدى وذات تأثير كبير. لم يعُد الحسم في المعارك هو الهدف الأساسي، بل أصبحت الهزائم في الحروب غير نهائية وتختلف نسب النجاح فيها، على سبيل المثال، يمكن أن يكون النصر للمهاجم بنسبة 70٪ وللدفاع بنسبة 30٪. وبالتالي، أصبحت الحروب تتكون من مراحل متعددة لتحقيق نتائج ملموسة. وقد شهدت غرب آسيا وشمال إفريقيا خلال الـ 50 عامًا الماضية تطبيقًا فعليًا لهذه الفكرة، حيث اعتمدت القوى المدافعة عن أراضيها على حروب الاستنزاف كوسيلة للتحدي مع الجيوش القوية والعنيدة.

وتم تطبيق ذلك من قبل المصريين بعد هزيمتهم في يونيو 1967، حيث خاضوا حربًا استمرت لمدة 4 سنوات لتحقيق تعويض وتوازن مع العدو، واستفادوا من ذلك في حرب أكتوبر 1973 لاستعادة بعض ما فقدوه من الأراضي والسيطرة. وقام الأفغان أيضًا بتطبيق حرب الاستنزاف لمدة 12 عامًا بعد غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، وتمكنوا من تحقيق هزيمة قوية للجيش السوفيتي في عام 1991 بدعم من الولايات المتحدة والدول العربية وباكستان.

وقد قامت المقاومة اللبنانية أيضًا بتنفيذ استراتيجية الاستنزاف ضد القوات الأطلسية التي دخلت لبنان في حالة احتلال شبه كاملة في عام 1982، وتم طردها في عام 1984. وقد نفذت المقاومة حرب استنزاف طويلة مع العدو الصهيوني الذي احتل العاصمة بيروت أيضًا في عام 1982، إلا أنه لم يصمد أكثر من 18 عاماً فعاود الانسحاب عام 2000

وقامت المقاومة الفلسطينية منذ عام 1987 بتنفيذ حروب استنزاف مستمرة ضد العدو الصهيوني، على شكل انتفاضات وهبات وأيام قتالية ومعارك وحروب. ومن بين هذه الحروب، تميزت حرب "طوفان الأقصى" التي بدأت في عام 2023 ولا تزال مستمرة حتى الآن.

سنحاول في هذا البحث إجراء مقارنة أكاديمية عسكرية بين حرب الاستنزاف التي خاضها الجيش المصري بين عامي 1967 و1970 وبين حرب الاستنزاف التي تخوضها المقاومة اللبنانية منذ 8-10-2023 لنصرة واسناد غزة. وسنحاول من خلال هذه المقارنة استخلاص الدروس المستفادة والنتائج، اعتمادًا على كل من الطرفين لهذا النوع من الحروب مع التنويه إلى أننا اخترنا الطرفين (الجيش المصري – المقاومة اللبنانية) لوجود تشابه واختلاف بينهما. التشابه لأنهما خاضا حرب الاستنزاف ضد نفس العدو والاختلاف بسبب اختلاف طبيعة ودور كلاً من الطرفين فالجيش المصري

يعتبر قوة نظامية وعنصراً رئيسياً في صناعة القرار في مصر. بينما تعتبر المقاومة اللبنانية تشكيلاً "غير نظامي "يمارس حرباً هجينة على العدو تعتمد على مبدأ التشغيل اللاامتماثل، كما وسنقدم في الملحق لمحة أكاديمية وافية عن حروب الاستنزاف لتقريب فكرة هكذا حروب معقدة.

تطبيقات حرب الاستنزاف

أولاً: على الجبهة المصرية في قناة السويس (1-7-1967 – 8-8-1970)

في الحادي عشر من شهر حزيران 1967 وبعد مرور خمسة أيام على نكسة العام 1967، استدعى الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر رئيس أركان الحرب والضابط الثاني الاعلى رتبة في الجيش المصري الفريق محمد فوزي، وكلفه قيادة الجيش بإعداد دراسة عن أسباب النكسة واعداد خطة طريق مستمدة من الدروس المستفادة من دراسة النكسة لإعادة تنظيم الجيش وإزالة ما أسماه عبد الناصر "آثار العدوان ".

وقد فوض عبد الناصر قائد جيشه كامل الصلاحيات لإنجاز مهمته والاستفادة ممن يلزم من ضباط وخبراء عسكريين مصريين. لم يتأخر الفريق محمد فوزي بإنجاز المهمة وخرج في دراسته التحقيقية بسلسلة ملاحظات وجد أنها كانت أسباباً رئيسية للنكسة وهي:

1- الفساد والزبانية في الجيش
2- انغماس الجيش في السياسة على حساب واجبه العسكري الذي حدده الدستور بالدفاع عن البلاد
3- ضعف الكفاءة العسكرية في جميع المراتب
4- انتشار الامية في الجيش
5- كثرة وجود الوحدات غير المقاتلة في الجيش والتي كان يعمل معظم أفرادها في وظائف مدنية في المؤسسات العامة ذات الطابع المدني.
6- وجود مشاريع تصنيع عسكرية غير مجدية ومفيدة تثقل كاهل الدولة.

تقرر على أساس تلك الملاحظات اعادة بناء الجيش أفراداً وعتاداً على أسس علمية بعد تطهيره من ضباط الصف الاول والثاني من المستويات العليا ورفع الكفاءة فيه وحل الوحدات غير المقاتلة فضلاً عن وقف كافة مشاريع التصنيع العسكري غير المجدية.

وعلى هامش الدراسة التي أعدها الفريق فوزي طرح أفكاره للمرحلة القادمة في خطة طريق أسماها بنفسه "الطريق إلى التحرير ". وضع الفريق فوزي المسودة الاولى لإعادة تحرير الارض بالتدريج وعرض المهام المطلوبة والتوقيتات ومعايير الاشتباك والتصعيد وخطط التدريب وانشاء وحدات عسكرية قتالية ذات اختصاصات جديدة. وكان من أول التعديلات التي أجراها هو دمج قوات الصاعقة (الكوماندوس المصري) بقوات المظلات وتكليف العقيد ركن مظلي سعد الدين الشاذلي رحمه الله لقيادة والاشراف على حسن دمج هذا التشكيل الذي سيكون له باع في المستقبل القريب.

كانت تلك خطة الطريق المدمجة التي اعاد فيها الفريق محمد فوزي وضع أساسين متقابلين يسيران بتوقيتات متزامنة لبناء الجيش وللإعداد للتحرير.

كانت خطة الفريق فوزي تتلخص بثلاث مراحل:

الاولى: تعزيز الصمود واستعادة الثقة والمعنويات

الثانية: مرحلة الدفاع الثابت الذي يرفع الجسم العسكري الجديد مستوى الاحتكاك والتصعيد مع العدو ويعتبر تطبيقاً للدروس والتدريبات الجديدة التي تلقاها الضباط والجنود.

الثالثة: مرحلة الاستنزاف والردع وذلك بعد استكمال بناء 80% من الجيش افراداً وعتاداً.

وكانت حرب الاستنزاف قد بدأت في الاول من تموز 1967 في معركة رأس العش آخر المواقع المصرية غير المحتلة على الضفة الشرقية لقناة السويس والتي قرر فيها قائد الموقع الذي كان باستعداد فصيلين معززين عدم الاستسلام للعدو والقتال الاستشهادي حتى الرمق الأخير واستطاع خلال 4 ايام قتالية دحر العدو بعدما أرسلت له القيادة العامة للقوات المسلحة في نهاية اليوم الثاني سرية كوماندوس وسرية من قانصي الدبابات فاستطاع من خلال هذه القوة الثبات وبقي الموقع الذي دمره الاحتلال منيعاً على العدو حتى بداية حرب أكتوبر 1973. كان الأثر المعنوي الكبير لمعركة رأس العش متطابقاً مع رؤية الفريق فوزي للسنوات القادمة التي تسبق معركة التحرير الكبرى.

المهام المصرية العسكرية في حرب الاستنزاف:

كانت المهام التي حددتها القيادة العامة المصرية لقواتها في حرب الاستنزاف هي:

1. منع العدو من القيام بالاستطلاع بمختلف أنواعه، البري والبحري والجوي.
2. منع تحركات العدو على الضفة الشرقية للقناة وتدمير أي أرتال يمكن رصدها هناك.
3. منع العدو من إقامة منشآت هندسية أو تحصينات ميدانية، وتدمير ما ينجح في إقامته منها أولاً بأول.
4. إسكات بطاريات مدفعية العدو ومصادر نيرانه البرية.
5. إرهاق العدو وإيقاع أشد الخسائر بجنوده وأسلحته ومعداته، والسعي إلى القبض على الأسرى، والحصول على الوثائق والأسلحة والمعدات.
6. تطعيم القوات المسلحة المصرية للمعركة المقبلة، من واقع الخبرات المكتسبة من الاستنزاف القتالي العنيف.

وكانت الأهداف كما يلي:

- ضرورة إزالة الآثار الناجمة عن معاناة المقاتلين من جرّاء الهزيمة ورفع المعنويات
- استعادة الثقة بالنفس والقادة والسلاح وتطويره
- تسليح الفرد بالعزم والإصرار وقوة الإيمان وبعدالة القضية
- رفع الكفاءة القتالية والتي ستتيح له حتما أفضل أداء لتحقيق النصر كهدف نهائي.

فقد كان لا بدّ من الحصول على نصر عسكري، ولو جزئي، وإظهار تصميم وقدرة الجيش المصري في تحرير الأرض، وأن القوات المصرية قد تطورت. ولهذا، كان قرار القيادة:

- أن يمر كل فرد من أفراد القوات المسلحة خلال ممر معنوي، يحقق عقيدة تحرير الأرض.

- أصبح واجب كل فرد، هو العبور شرقاً وقتال العدو في سيناء، حتى تتحقق الأهداف، مهما بلغت الخسائر، ومهما كان رد العدو الجوي ضد القوات المصرية
- إنهاك الجانب المعادي، بشرياً ومعنوياً واقتصادياً، كغاية أولى
- اكتساب الخبرة الميدانية
- مواصلة الاستعداد لحرب جديدة تحت ظروف أفضل، كغاية ثانية.
- توفير المناخ المثالي لخلق المقاتل الكفء، الذي يستطيع أن ينفض ركام الهزيمة ليعبر ويقتحم الموانع والحصون.
- إتاحة الفرصة المتكافئة لقتال العدو وجها لوجه وقتله وأسره.
- اختبار كفاءة الأسلحة، وكذا أساليب القتال واختبار الأنسب منها من أجل تطوير هذه الأسلحة والخروج بعقيدة قتالية مصرية خالصة.
- اختيار القادة الأصلح للتخطيط وإدارة القتال، وذلك خلال حرب فعلية ضد الجانب "الإسرائيلي".
- التركيز على الفرد المقاتل "الصهيوني "، وتنفيذ عمليات اقتناصه أو أسره.

ولذلك، كُلّفت كل كتيبة في الجبهة بالحصول على أسير إسرائيلي شهريا على الأقل، وأن تكون هي المبادرة في كل شيء، وأن يعطى للقادة على كافة المستويات حرية اتخاذ القرار. كما كلفت جميع تلك الكتائب بالمهمات التفصيلية التالية:

- مواجهة الحرب النفسية التي شنتها "إسرائيل" والدعاية التي أعلنتها، بأن الجيش المصري بصفة خاصة، لن تقوم له قائمة بعد الآن.
- تحسين القدرة القتالية للفرد المقاتل وللمجموعات والتشكيلات الصغرى ورفع مستوى أدائها الميداني،
- تطعيم القوات للمعركة وبث الروح الهجومية فيها
- تدريب القوات للمعركة عمليا على عبور القناة وقتال العدو وقهره.

حرب الاستنزاف المصرية (1967-1970)

بدأت مصر صراعها المسلح ضد كيان العدو بمرحلة أطلق عليها مرحلة الصمود، انتقلت بعدها القوات المسلحة المصرية إلى مرحلة الدفاع النشط، ثم تطور القتال إلى مرحلة جديدة أطلق عليها الاستنزاف لتصل الحرب إلى ذروتها.

أولاً: مرحلة الصمود (1-7-1967 حتى 8-8-1968)

كان الهدف منها هو سرعة إعادة البناء، ووضع الهيكل الدفاعي عن الضفة الغربية لقناة السويس. وكان ذلك يتطلب هدوء الجبهة حتى توضع خطة الدفاع موضع التنفيذ بما تتطلبه من أعمال كثيرة وبصفة خاصة أعمال التجهيز الهندسي المطلوبة. واستغرقت هذه المرحلة المدة من تموز 1967 إلى آب 1968.

اشتملت هذه المرحلة على بعض العمليات المهمة، التي كان لها تأثير كبير على المستوى المحلي والعربي والعالمي وهي:

معركة رأس العش: وقعت أحداثها يوم 1 تموز 1967، وتعتبر هذه المعركة هي الشرارة الأولى للحرب، عندما حاولت المدرعات الصهيونية احتلال مدينة بور فؤاد، فصدتها عن المدينة قوة من الصاعقة المصرية. إن نجاح القوات المصرية، ذات القدرات المحدودة في ذلك الوقت وبسالتها، ضد قوات معادية متفوقة يساندها سلاح الجو المعادي، أثار مشاعر المقاتلين على طول خط الجبهة حمية وحماسا واستعدادا للمواجهة المنتظرة.

معارك القوات الجوية: خلال يومي 14 و15 تموز 1967، نفذت القوات الجوية المصرية طلعات هجومية جريئة ضد القوات الصهيونية في سيناء، أحدثت فيها خسائر فادحة، بل أدت إلى فرار بعض من الأفراد الإسرائيليين من مواقعهم بسبب عدم وجود مساتر حيث لم يكن خط بارليف قد بني بعد. ومن هنا زادت الثقة لدى المقاتلين في قواتهم الجوية بعد هذه العملية الناجحة.

معارك المدفعية: كان الاشتباك الكبير الذي ركزت فيه المدفعية المصرية كل إمكانياتها في قطاع شرق الإسماعيلية يوم 20 أيلول 1967، والذي تمكنت فيه من تدمير وإصابة عدد غير قليل من الدبابات الإسرائيلية، وصل إلى 9 دبابات مدمرة، فضلا عن الإصابات في الدبابات الأخرى وعربتين لاسلكي، وقاذف مدفعية صاروخية، بالإضافة إلى 25 قتيل و300 جريح منهم ضابطين برتبة كبيرة.

إغراق المدمرة البحرية الصهيونية إيلات: كان ذلك يوم 21 تشرين أول 1967، إذ تمكنت زوارق صواريخ البحرية المصرية من إغراق المدمرة إيلات في منطقة شمال شرق بورسعيد، وتعد هذه المعركة أول استخدام للصواريخ سطح. وكانت خسارة فادحة للقوات البحرية الإسرائيلية، خاصة وأن هذه المدمرة كانت تمثل أهمية كبيرة للبحرية في ذلك الوقت، كما كانت خسائرها كبيرة في الأرواح، الأمر الذي دفعها لاستئذان مصر عن طريق الأمم المتحدة في البحث عن القتلى والغرقى، في منطقة التدمير شمال بورسعيد، واستمرت في عمليات البحث والإنقاذ لأكثر من 48 ساعة بعد أن وافقت مصر على ذلك.

ومع استكمال الخطوط الدفاعية وتماسكها في نطاقات عميقة غرب القناة، تكونت احتياطيات الجبهة خفيفة الحركة. وكانت الخطط النيرانية تعتمد على المدفعية بأعيرتها المختلفة. وعندها بدأت الدوريات المصرية المقاتلة من المشاة والقوات الخاصة والمهندسين في التسلل شرقا، ومهاجمة المواقع الدفاعية الإسرائيلية، مع التركيز ضد المناطق الإدارية الصهيونية وكانت المدفعية تؤمن أعمالها بالنيران.

كما استمرت معارك المدفعية والتراشق بالنيران طوال مرحلة الصمود، استهلكت فيها آلاف الأطنان من الذخائر بمعدل فاق جميع الحروب السابقة. إضافة إلى نشاط أفراد القناصة المهرة، الذين دربوا لقنص أفراد الجيش الصهيوني وقادته، سواء في نقاط المراقبة، أو أثناء تحركهم على الضفة الشرقية للقناة.

ثانياً: مرحلة الدفاع النشط أو المواجهة (ايلول 1968 – شباط 1969):

كان الغرض منها تنشيط الجبهة والاشتباك بالنيران مع قوات العدو بغرض تقييد حركة قواتها في الخطوط الأمامية على الضفة الشرقية للقناة، وتكبدها قدرا من الخسائر في الأفراد والمعدات. واستغرقت هذه المرحلة المدة من سبتمبر 1968 إلى فبراير 1969.

وقد مثلت هذه المرحلة نقطة تحول الرئيسية في تنشيط الجبهة. فكان هذا يوم بدايتها 8 ايلول 1968 هو اليوم الذي أرادت مصر أن تبـدأه بقوة، وتعلن عن نفسها بأنها استعادت قوتها التي فقدتها في النكسة. وقد شملت أعمال قتال هذا اليوم على قصفات مدفعية، مدبرة وتحت سترها تم الدفع بدوريات قتال على طول الجبهة. وقد خططت هذه القصفات مركزيا بحيث تشمل جميع الأهداف الصهيونية شرقي القناة حتى عمق 20 كيلومترا. وروعي أن تبدأ قبل آخر ضوء بفترة مناسبة، وتستمر إلى ما بعد آخر ضوء، وقد اشترك في هذه القصفات 38 كتيبة مدفعية من مختلف الأعيرة، أطلقت نيرانها لمدة ثلاث ساعات، من الرابعة والنصف إلى السابعة والنصف مساء، وشاركت جميع الأسلحة المضادة للدبابات، لتطلق نيرانها من الضفة الغربية للقناة، على الأهداف المعادية المرئية على الضفة الشرقية. واستهدفت هذه القصفات خط بارليف، الجاري إنشاؤه في المقام الأول، ثم جميع مواقع الصـواريخ 216 مم، 240 مم التي يستخدمها الجانب الآخر في التأثير على مدن القناة، وجميع مواقع المدفعية، ومناطق الشؤون الإدارية، ومناطق تمركز الأفراد. وقد شكلت هذه القصفات صدمة نفسية للجانب الآخر، حيث شعر لأول مرة أن السيطرة النيرانية قد آلت للقوات المسلحة المصرية. وتكبدت "إسرائيل" خسائر جسيمة، شملت تدمير 19 دبابة، وثمانية مواقع صواريخ، وعشرات الدشم، ومناطق الشؤون الإدارية، ومناطق التمركز. وأسكتت خلالها جميع مدفعيات إسرائيل، التي قدرت وقتها بسبعة عشر بطارية مدفعية.

وفي 26 أكتوبر تكررت قصفات المدفعية المركزة، ولكن بصورة أقل، حيث اشتركت فيها 23 كتيبة مدفعية، أطلقت نيرانها لمدة سبعين دقيقة. واستهدفت بالدرجة الأولى تدمير مواقع الصواريخ 216، 240 مم بعد تحديدها بدقة من خلال الدوريات التي سبق دفعها، ومن خلال صور جوية حديثة. وتحت ستار هذه القصفات، دفع الجيش المصري بالعديد من الكـمائن لاصطياد الدبابات والمركبات التي تحاول الهروب أثناء القصف. وقد نجح هذا القصف كذلك، وشكل للجانب الآخر صورة غير مألوفة من الإزعاج، نتيجة للخسائر التي تكبدها، والتي حددها بعد ذلك بأنها 49 فردا بين قتيل وجريح علاوة على تدمير وحدات الصواريخ.

وتصاعد القتال إلى مرحلة جديدة أطلق عليها الاستنزاف أو مرحلة التحدي والردع، وذلك من خلال عبور بعض القوات والاغارة على القوات الإسرائيلية، وكان الهدف منها تكبيد "إسرائيل" أكبر قدر من الخسائر في الأفراد والمعدات لإقناعها بأنه لابد من دفع الثمن غاليا للبقاء في سيناء، وفي نفس الوقت تطعيم الجيش المصري عمليا ومعنويا للمعركة. واستغرقت هذه المرحلة من مارس 1969 إلى أغسطس 1970.

ثالثاً: مرحلة التحدي والردع أو الاستنزاف (شباط 1969- آب 1970)

طبقا للتخطيط المصري، كان شهر فبراير 1969 يمثل نهاية شهور ستة محددة، كمرحلة انتقالية بما كان يطلق عليه الدفاع النشط. وشهد مارس 1969 أهم مراحل التصعيد العسكري ما بين الجولتين الثالثة والرابعة في الصراع العربي الإسرائيلي. وقد أديرت هذه المرحلة سياسيا وعسكريا بتنسيق متكامل لتحقق الهدف منها ولتتوازن في التصعيد والتهدئة. وتحددت مهامها في تقييد حرية تحركات العدو على الضفة الشرقية للقناة، وإرهاقه وإحداث أكبر خسائر به، وكانت هـذه المرحلة التي امتدت من يوم 8 آذار 1969 إلى 8 آب 1970، طويلة وشاقة، وهي تعد عسكريا أطول جولة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي.

بدأت هذه المرحلة صباح 8 آذار 1969، وامتدت إلى 19 تموز من العام نفسه، وتميزت بسيطرة مطلقة للقوات المصرية على خط الجبهة. وكانت المدفعية هي الوسيلة الرئيسية للعمل خلالها، حيث صبت على حصون خط بارليف، والأهداف الأخرى، حوالي 40 ألف قذيفة، بادئة أعمالها يوم 8 آذار بأكبر حشد نيراني مؤثر منذ توقفت نيران حرب 1967. واستمر هذا القصف ساعات متواصلة، اشتركت فيه 34 كتيبة مدفعية، يعاونها حشد من أسلحة الضرب المباشر كالمدافع المضادة للدبابات، والدبابات الثقيلة عيار 122 مم، لتدمير منافذ رمي نيران دشم خط بارليف. وقد أحدث هذا القصف تأثيرا شديدا على الطرف الآخر القابع شرق القناة، حتى وصل حجم الخسائر تدمير حوالي 29 دبابة، و30 دشمة في خط بارليف، وإسكات 20 بطارية مدفعية، وحرائق شديدة في ست مناطق إدارية، وغير ذلك من الخسائر.

اعتبارا من 20 تموز 1969، بدأت المرحلة الثانية من حرب الاستنزاف بإدخال "إسرائيل" لعامل رئيسي جديد في هذه الحرب، اتسعت من خلاله مجالات المواجهة ليشمل مسارح العمليات بالكامل، بعد أن كانت مقتصرة على المسرح البري خلال الفترة السابقة. وقد افتتحت "إسرائيل" هذه المرحلة بتنفيذ العملية "بوكسرBOXER"، التي تتلخص في تنفيذ 500 طلعة طائرة تقصف 2500 قنبلة بإجمالي 500 طن على أهداف منتخبة خلال 10 أيام، وهي مواقع الدفاع الجوي والرادارات، ومواقع المدفعيات، والقوات في الجبهة. ويفخر رئيس الأركان الصهيوني الجنرال حاييم بارليف، بأنه خلال الفترة من 20 يوليو وحتى نهاية حرب الاستنزاف، نفذت الطائرات الصهيونية 1000 غارة لإجبار مصر على نشر قواتها وتخفيف الحشد في جبهة القناة.

الاستنزاف المضاد (حرب الاستنزاف الصهيونية)

اعتبر العدو أن الاستنزاف المضاد ـ طبقا للأسلوب العلمي ـ حالة خاصة من الحروب المحلية المحدودة التي تقتصر على تخطيط وإدارة ردود الأفعال المناسبة لما يوجه إليها من أنشطة قتالية من الخصم بغرض استنزافها، على أن تنحصر تلك الردود داخل سلم تصعيد لا يترك القتال ينطلق إلى آفاق الحرب الكاملة، ورأى مخططو العدو كحاييم بارليف ونائبه آدان ووزير حربه موشي ديان وقائد المنطقة الجنوبية في ذلك الوقت آريال شارون أن قصر ردود الأفعال"للاستنزاف المضاد" داخل هدف، ووسائل صراع، ومدى جغرافي وعدد من الأطراف، ومدة زمنية لا تضر بالوضع القائم، أو تدخل عليه من التغييرات ما يفسده كحق مكتسب يقبله القانون مع تقادم الزمن.

وقد أطلق المحللون "الإسرائيليون "، لقب "حرب الاستنزاف" على مجموع الأعمال القتالية التي دارت في أعقاب حرب 1967، وحتى إيقاف إطلاق النيران في 8 آب 1970. كما أسموها أيضاً بحرب "الألف يوم."

ولقد وضعت مبادئ هذه الحرب في إطار دفاعي بوجه عام، وإن اعتمدت على بعض الأعمال التعرضية التي اشتملت على التجاوزات في أكثر من موقف، ولم يهدف "اسرائيل "في إدارته لهذه الحرب إلى احتلال مزيدا من الأراضي بل هدف إلى ترسيخ الوضع القائم بكل مكاسبه ومزاياه التي تحققت في حرب 1967.

مراحل حرب الاستنزاف المضاد الصهيونية

ذكر المحللون الصهاينة ومؤرخو تلك الحقبة "، أن الاستنزاف المضاد انقسم من وجهة النظر الإسرائيلية، "إلى ثلاثة مراحل رئيسيه، احتوت كل منها على مرحلة زمنية لها خصائصها على المستوى السياسي والعسكري، ولقد أطلق الإسرائيليين على كل مرحلة منها، اسما يتمشى مع الغرور الصهيوني "العسكري والسياسي "الذي كان سائداً خلال هذه الفترة الزمنية وما زال.

وسوف توضح هذه المراحل بأسمائها الإسرائيلية، ثم تقييمها طبقاً للحقائق العلمية المجردة، وهذه المراحل هي:

أولاً: مرحلة الردع: حزيران 1967 – ايلول 1968

والاسم العلمي الحقيقي لهذه المرحلة هو "ردود الفعل"، إذ كانت القيادة الصهيونية تحاول قدر الإمكان تهدئةَ الموقف، لتحقيق الأهداف السياسية بفرض الأمر الواقع وإقناع دول الغرب بأن الموقف في الشرق الأوسط مستقر، ولا داعي لأي جهود سلمية. وكان تقديرها أن مصر أصبحت جثة هامدة، وخسرت خسائر فادحة بسبب حرب 1967، تقنعها بعدم تكرار المواجهة مع "إسرائيل" التي تمتلك من الإمكانيات ما يمكنها من ردع أي عمل مصري محدود.

وقد واكبت هذه المرحلة، مرحلة "الصمود" على الجانب المصري. لذلك، فإن محصلة التصعيد، والتهدئة مرت خلال فترات زمنية متباعدة نوعا ما.

وانقسمت هذه المرحلة من وجهة نظر الاستعداد القتالي، وردود الفعل إلى مرحلتين فرعيتين:

المرحلة الفرعية الأولي: من 6 حزيران 1967، وحتى 14 آذار 1968:

وكانت القوات الصهيونية خلالها مكشوفة تماماً، وتعتمد على حشد أسلحتها من دون إنشاء تجهيزات هندسية ملائمة لمسرح العمليات. كما كانت الظاهرة الرئيسية التي تسود القوات على الضفة الشرقية للقناة، هي الغرور، والصلف، وعدم إتباع أي قواعد أخلاقية تتمشى مع التقاليد المصرية. لذلك، كانت القوات الصهيونية هدفًا سهلاً لأي اشتباك مفاجئ. وقد اقتصرت هذه المرحلة على اشتباكات متباعدة، ولكنها عنيفة، استخدمت فيها المدفعية كسلاح رئيسي، فضلاً عن المعارك البحرية والجوية. وكانت مصر توجه نيرانها إلى أهداف عسكرية بغرض تأكيد السيادة، بينما وجهت "إسرائيل" جميع نيرانها ضد المدنيين في التجمعات السكانية، وضد أهداف صناعية في منطقة القناة.

المرحلة الفرعية الثانية: من 15 آذار 1968 ـ وحتى أيلول 1968:

وهي التي ركزت "إسرائيل" خلالها على إنشاء خط بارليف الأول، مستغلة الإمكانيات المحلية المتاحة بقدر الإمكان. وبدأت، بعدها، القوات الصهيونية في التحصن داخل دفاعات ثابتة على طول الضفة الشرقية للقناة، بهدف تأمين هذه القوات ضد الاشتباكات المصرية المتصاعدة.

وقد حشدت "إسرائيل" في هذه المراحل عدداً من صواريخ الميدان (راجمات الصواريخ) من عيار 240 مم، 216 مم، كذلك المدفعية الثقيلة من عيار 175 مم، بهدف إحداث التأثير المناسب على مدن القناة، والأهداف الاقتصادية

المصرية، لإجبار القيادة المصرية على الحد من توجيه نيرانها ضد القوات الإسرائيلية. وتكبدت "إسرائيل" في هذه الاشتباكات خسائر كبيرة، لم تكن تعلنها في وقتها ولكن البيان العسكري كان دائـما يذيل "بإصابة أحد الجنود"، وذلك إمعانا في خفض الروح المعنوية للقوات المصرية.

في الوقت نفسه، كانت عملية تهجير سكان مدن القناة إلى داخل الوادي ونقل المنشآت الصناعية الرئيسية إلى مناطق أكثر أمنا، هي الوسيلة الرئيسية التي أفقدت العدو ميزة ضرب السكان المدنيين، وجعلهم رهينة للتأثير في القياديتين، السياسية والعسكرية، في سبيل تهدئة الموقف على خط القناة. وأصبحت القوات المصرية بدءاً من يناير 1968، لا تعطي أهمية كبرى لضرب مدن القناة "الخالية من السكان". لذلك، كان على "إسرائيل" البحث عن وسيلة أخرى للتأثير في القيادة السياسية المصرية.

ومن المحتمل أن "الردع" الذي كان يقصده المحللون الإسرائيليون في تسميتهم لهذه المرحلة، هو ضرب سكان مدن القناة المدنيين، الذي تمنعه كل القوانين والأعراف الدولية.

ثانياً: مرحلة الترويع، بين 26 تشرين أول 1968 ـ وحتى كانون أول 1969:

والاسم الحقيقي لهذه المرحلة يجب أن يكون "محاولة احتواء الرد المصري الإيجابي". وقد واكبت هذه المرحلة، مرحلة الدفاع النشط، على الجبهة المصرية، وجزءاً من مرحلة الاستنزاف. وتلقت "إسرائيل" خلالها عدة ضربات مؤلمة أجبرتها على إدخال قواتها الجوية في المعركة اعتباراً من 20 تموز 1969 في محاولة للحد من الأعمال القتالية الإيجابية المصرية التي أحدثت خسائر هائلة في قواته.

بدأت هذه المرحلة بتلقي "إسرائيل" قصفات مدفعية عنيفة يومي 8 ايلول، ثم في 26 تشرين أول 1968 استهدفت جميع مواقع الصواريخ الميدانية (راجمات الصواريخ) 216مم، 240 مم، التي كانت تؤثر في مدن القناة، فضلاً عن جميع المناطق الإدارية ومراكز القيادة على الضفة الشرقية للقناة.

ومن واقع الخسائر الكبيرة التي حدثت في صفوف العدو، ونظراً لخلو مدن القناة من السـكان، كان لا بدّ من البحث عن هدف آخر؛ فاتجه الفكر الصهيوني مباشرة إلى صعيد مصر حيث الكثافة السكانية العالية، والأهداف الكثيرة التي يمكن التعامل معها، نظراً لضعف الحراسات عليها، وعدم وجود قوات مسلحة ذات تأثير في هذه المنطقة. وكذلك، لإثبات أن للكيان المؤقت يد طويلة، يمكنها الوصول إلى أي مكان في مسرح العمليات، للرد على الأعمال القتالية المصرية.

وببدء مرحلة الاستنزاف يوم 8 آذار 1969، تلقت قوات العدو على الجبهة ضربات شديدة، وأصبح التفوق المدفعي المصري مطلقاً من حشد يناهز الألف مدفع وهاون، أمطر القوات الصهيونية بوابل من القذائف.

كما فوجئ جنود العدو المتحصنون في دشم خط بارليف بقذائف الدبابات، من الأعيرة الثقيلة، تخترق هذه الحصون من خلال (فتحات المراقبة)، وتنفجر داخلها لتحول هذه الدشم إلى قبور لكل من وُجد فيها.

وكان التحول الجدي في الإستراتيجية الصهيونية للاستنزاف المضـاد يتمثل في استخدامها قواتهـا الجويـة بكثافة، لتوسـيع مسـارح العمليـات، بدءاً من 20 تموز 1969.

ثالثاً: مرحلة السحق: بين 1 كانون ثاني 1970 ـ وأغسطس 1970:

وهي التي يطلق عليها الحرب القذرة، والتي بدأت من أول كانون ثاني عام 1970، إذ استهدف الطيران الصهيوني أهدافاً مدنيه، قتل معها أطفال بحر البقر وعمال مصنع حديد أبو زعبل. ولكن لم ينل شيئا من الإرادة المصرية ولم يحقق أهدافه في إيقاف الاستنزاف أو إحراج القيادة المصرية، وكان هذا سبباً رئيسياً في مبادرة روجرز، وتصاعد الخلافات الحادة بين القادة الصهيونية أنفسهم.

احصاء للعمليات الناجحة (الايجابية)

خلال حــرب الاستنزاف منذ 1-7-1967 حتى 9-9-1970

المرحلة	العمل الإيجابي	ما تم تنفيذه إيجابيا		ملاحظات
		القوات المصرية	العدو	
مرحلة الصمود يونيو 1967 ـ أغسطس 1968	إغارة / كمين	3	2	
	محاولة السيطرة على مواقع في القناة	2	2	
	قصف مدن القناة	-	8	
	تدمير قطعة بحرية رئيسية	1	-	المدمرة إيلات
الدفاع النشط سبتمبر 1968 ـ فبراير1969	كمين/ دورية إيجابية	9	-	
	قصف أهداف مدنية	-	4	
مرحلة الاستنزاف مارس 1969 ـ 8 أغسطس1970	هجوم / إغارة / كمين	54 (منها 10 في العمق)	32	
	ضرب مباشر لتدمير أهداف رئيسية	6	1	
	محاولة السيطرة على القناة	-	1	

	قصف أهداف مدنية	-	40	
	قصف جوي على أهداف في العمق	6	35	
إجمالي		**81**	**125**	هذه الاعمال الناجحة الرئيسية واكبتها أعمال اشتباك روتينية بلغت 4253 اشتباك فردي معظمها أعمال قصف مدفعي

تقييم حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية الصهيونية:

إن الدراسة الدقيقة، والتحليل المتأني لحرب الاستنزاف على الجبهة المصرية، تؤكد:

- أن أرباح هذه الحرب على الجانب المصري فاقت خسائرها. على الرغم من أنها "لم تحقق استعادة، ولو شبر واحد من الأرض المحتلة"
- كان لها ـ كأي حرب أو أحداث مهمة ـ كان لها بعض الأخطاء، سواء في التقدير العام للموقف ـ "والذي تأسس على اقتصار حرب الاستنزاف على نطاق الجبهة فقط، وباستخدام القوات البرية، كعامل رئيسي، فإذا بالعدو يدفع بقواته الجوية، والبحرية، ويمتد مسرح العمليات ليشمل حدود مصر الشرقية بالكامل، ويصل إلى عمق الوادي، مما اضطر القيادة إلى تعديل جذري في الخطة لمواجهة المواقف المختلفة، والرد عليه بالمثل.
- كانت هناك بعض أخطاء في امتلاك زمام الموقف أثناء إدارة الحرب، فقد كاد الجانب الآخر أن يمتلك زمام المبادأة، وخصوصا بعد توسعه في استخدام قواته الجوية.
- كانت هناك أخطاء في التصعيد والتهدئة، تعمّد العدو خلالها إحراج القيادتين السياسية والعسكرية المصرية، ضمن خطته في زعزعة أركان النظام، ودفع القوى الشعبية لفقد الثقة في قيادتها السياسية.
- كانت هناك بعض الأخطاء في حشد القوى العالمية مبكرا لصالح القضية، وقبل شن الحرب، نتيجة وقوف الولايات المتحدة الأمريكية بثقلها، إلى جانب إسرائيل، ورغبة دول العالم في عدم استمرار

الصراع في هذه المنطقة، التي تشكل أهمية اقتصادية لها، وخوفها من تأثر إمدادات البترول نتيجة لامتداد أمد الحرب.

- كانت الحملة الإعلامية أقل من الحدث نفسه، مما أدى إلى ارتفاع صوت "الاستنزاف المضاد"، نتيجة لحملة الدعاية الصهيونية الشاملة.
- القصور في إمكانية إحداث التوازن، بين الإمكانيات المصرية وإمكانيات العدو على الرغم من كل الجهود المبذولة، وقتها، لتحقيق التوازن المطلوب. ويرجع هذا الخلل أساسا نتيجة لقرار القيادة السوفيتية "غير المعلن"، بإمداد مصر بالأسلحة، التي تحقق التوازن الدفاعي فقط.

وأن الدراسة الموضوعية لحرب الاستنزاف، على المستوى الاستراتيجي والتعبوي، يجب ألا تقتصر على وقائعها وأحداثها فقط، إذ تكمن أهميتها في الآثار البعيدة، التي تركتها هذه الحرب.

- **الأثر الأول** لتجارب ودروس حرب الاستنزاف، هو أنها أدت إلى تعديل مسار القوات المسلحة، لترتقي بتنظيمها وتسليحها وأساليب تدريبها، حتى تتمكن من إحداث التوازن المطلوب مع الطرف الآخر، الذي ستواجهه في المعركة الفاصلة. وكانت القيادة المصرية تدرك الفاصل التقني الهائل، بين ما تمتلكه إسرائيل، وبين السلاح الذي يزود به السوفييت مصر ـ طبقا لخطتهم في الإمداد بالأسلحة ـ كماً ونوعاً ـ لتحقق إستراتيجية دفاعية فقط. وقد ثبت فشل هذه الإستراتيجية خلال حرب الاستنزاف مما أدى بالرئيس عبد الناصر إلى زيارة سرية إلى موسكو (22 ـ 25 يناير 1970) ليضع الحقائق والمقارنات الصحيحة، أمام القادة السوفييت، الذين لم يجدوا بداً من اتخاذ قرار هو الأول من نوعه، منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، بنشر قوات لهم خارج دول حلف وارسو، وتزويد مصر بأسلحة أحدث (ولو أنها لم تحقق التوازن الكامل مع ما كانت تمتلكه إسرائيل). ومنذ ذلك الوقت، استمر الضغط المصري في سبيل الحصول على أسلحة أكثر تقدما، ومن أي مكان في العالم.
- **الأثر الثاني:** هو بدء بناء عقيدة القتال المصرية، مع تجربة عقائد وأساليب قتال تمكّن من مجابهة الفكر الصهيوني في جميع المجالات. وكان الصراع بين الطائرة والطائرة، أثناء حرب الاستنزاف، هو الذي أدى إلى تحديث الطائرات المصرية، والوسائل الأرضية المساعدة، والارتقاء بمستوى الموجهين والطيارين بصفة عامة. وكان الصراع بين الطائرات الإسرائيلية، ووسائل الدفاع الجوي، هو الذي أدى إلى التعرف على الإمكانيات الحقيقية، لقدرات الصواريخ، والوصول إلى أساليب متقدمة في استخدامها والمناورة بها. وكان الصراع بين القوات البرية المصرية والجوية الإسرائيلية، وبين القوات المصرية والإسرائيلية على طول المواجهة، هو الذي أدى إلى الارتقاء بأساليب تجهيز المسرح وتحصينه وإنشاء مصاطب الدبابات. وكانت الرشقات المحدودة بين الدبابات على القناة، هي التي مكنت من التعرف على مدى الإصابة أو التدمير لكل من الدبابة المصرية والإسرائيلية. وأدى ذلك بدوره إلى التركيز على تطوير سلاح المدرعات المصري، والتأكيد على الحصول على أسلحة مضادة للدبابات، ذات مدى أكبر من الدبابات نفسها. كما أن التطبيق العملي لإدارة نيران المدفعية أثناء هذه الحرب، هي التي أدت إلى تطوير قواعد الضرب، واستحداث وسائل متطورة لإدارة النيران، طُبقت لأول مرة في السادس من أكتوبر 1973. ولولا الخبرات الناتجة من الإغارة على

النقط القوية للعدو شرق القناة، ما توصلت مصر إلى إستراتيجية قتال الرجل للدبابة، التي طبقت بنجاح في السادس من أكتوبر. ولولا العدد الكبير من عمليات العبور أثناء حرب الاستنزاف، ما توصلت مصر إلى الوسائل المساعدة، التي أدت إلى نجاح عبور السادس من أكتوبر العظيم.

- **الأثر الثالث:** هو أن حرب الاستنزاف يرجع إليها الفضل في تحطيم الحاجز النفسي، بين العرب وإسرائيل، على المستويات المختلفة سياسيا وعسكرياً، خاصة أن الهزيمة في ثلاثة حروب متوالية، شكلت عبئا ثقيلاً، كان من الصعب معه على أي قائد اتخاذ قرار "الحرب الشاملة"، قبل أن يتعرف على حقيقة الطرف الذي سيواجهه. كذلك، كان هناك حاجز نفسي رهيب يواجه المقاتلين، وكان لهذه الحرب الفضل في تحطيمه، نتيجة المعايشة مع العدو خلال فترات طويلة، والتعرف عليه من خلال المراقبة الدقيقة، ومن خلال مواجهته في معارك فعلية، أثبتت تفوق المقاتل المصري، وأعادت إليه ثقته في نفسه، وكان "للجنرال موشى ديان "وزير الدفاع الصهيوني قولا مأثورا أعلنه في إحدى المناورات" بأنه لا يميل إلى استخدام وسائل تمثيل الواقعية في تدريب القوات على المعارك، حيث إن القوات العربية التي تخوض معها "إسرائيل" القتال، بين الآونة والأخـرى، تعتبر أفضل أنواع الواقعية في التطعيم للمعركة". وقد كانت القوات المصرية أحوج ما تكون لتطبيق هذا المبدأ لكسر الحاجز النفسي، واختبار كفاءة التدريب، وكفاءة المعدات بعد مرحلة إعادة التنظيم، ثم العمل على صقل خبرات القادة والقيادات، وتعويدها على العمل في ظروف الحرب المستمرة، واكتشاف مدى قوة النظام الدفاعي شرق القناة، وأسلوب التغلب عليه.
- **الأثر الرابع:** هو روح (حرب التحرير الموعودة)، التي كانت حرب الاستنزاف بمثابة الشرارة، التي أشعلتها، وعرف خلالها المقاتلون حدود مسئولياتهم، التي وضعت موضع اختبار فعلي، ولمسوا بأنفسهم النتائج الحقيقية لدقة التخطيط ومردودها على سلامتهم، وعلى كفاءتهم، في تحقيق مهامهم. كما شاهدوا بأنفسهم حقيقة الإيمان بالله، وانعكاساته على الجرأة في التنفيذ وكل هذه المبادئ وغيرها، هي التي تبلورت بصورة أفضل بعد حرب الاستنزاف، لتصل إلى قمتها صباح السادس من أكتوبر 73، والتي عرفت فيما بعد بـ "روح أكتوبر".
- **الأثر الخامس:** هو المحصلة من كل التأثيرات السابقة، وهي مجموعة الخبرات، من تأثير النجاح والفشل، وهو الدرس الذي وُضع أمام القيادة، التي استلمت زمام الأمور للإعداد لحرب أكتوبر، حيث كان أمامها حصيلة هائلة من الخبرات، يمكنها أن تستند إليها في تعظيم الإمكانيات، وتلافي السلبيات. وهذه الحصيلة من الخبرات، هي التي أدت إلى بناء "إطار حرب أكتوبر". من ناحية:

1. توقيت بدء الحرب.
2. حجم القوات المشتركة.
3. أعماق المهام واسبقيات تحقيقها.
4. اتجاهات التعاون والتنسيق.

- **التأثير السادس:** لم تستوعب "إسرائيل" الدرس على الرغم من خسائرها الكبيرة في الأفراد والعتاد. وكان الشغل الشاغل للقيادة الإسرائيلية، ادعاء الانتصار في حرب الاستنزاف، بهدف رفع الروح المعنوية للشعب

الإسرائيلي، وعدم إهدار نصرها، الذي حققته في حرب 1967. وقد أعماها ذلك عن الجهود المصرية، التي تبذل حتى تضيق الفجوة التكنولوجية، وتحقيق التوازن بين القوى في المنطقة. في الوقت نفسه، كان همها الأكبر هو ترميم ما دمرته هذه الحرب، وبناء حائط دفاعي قوي، يستند على مانع مائي فريد، بحيث يحبط آمال المصريين في مجرد التفكير في عبور القناة، أو تحرير الأرض. واهتمت "إسرائيل" بوضع خطة دفاعية محكمة تحقق لها السيطرة الدائمة على سيناء، وصار جدل هائل بين القادة الإسرائيليين، فيما بين الرغبة في تحقيق الدفاع الثابت الممتزج بالدفاع المتحرك، وبين الإصرار على التمسك بمبادئ نظرية الأمن الإسرائيلي، التي تؤكد على الحركة كعقيدة رئيسية للجيش الإسرائيلي. وفي خضم هذا الجدل ضاعت الحقائق، وبعض الدروس المستفادة من حرب الاستنزاف، وتعالت صيحات الصلف والغرور الصهيوني بالنصر الكاذب.

على مستوى العدو فقد كانت إسرائيل، حتى آخر لحظة، تضع الفاصل التقني بينها وبين مصر، كأحد العوامل الرئيسية التي تجبر مصر على عدم شن هجوم شامل ضدها. وهذا ما ذكره "الجنرال إيلي زاعيرا"، مدير الاستخبارات الصهيونية أثناء حرب أكتوبر، في كتابه "حرب يوم الغفران، حيث كانت "إسرائيل" تؤمن، وتضع كل تقديراتها بأن مصر لن تقرر الحرب، إلاّ إذا تحقق لها شرطان أساسيان هما:

الأول: إحداث تغيير جوهري في ميزان القوى الجوي، الذي كانت تتمتع فيه "إسرائيل" بتفوق مطلق.

والثاني: أن تمتلك مصر سلاح ردع، يتمثل في صواريخ "سكود ـ ب "حتى توقف أي نوايا للكيان المؤقت في مواجهة العمق المصري.

ومن هذا المنطلق، فإن مفاجأة حرب أكتوبر على المستوى الإستراتيجي، تحققت نتيجة عدم اكتمال هذين الشرطين، من وجهة النظر الإسرائيلية.

تعرفت القوات المصرية من خلال هذه الحرب، على أبعاد تنظيم وقدرات الجيش الإسرائيلي، بأفرعه وقياداته وعلى دقائق نظام دفاعاته، وأسبقيات استخدام أسلحته، وتوقيتات استعداده القتالي. وتم تدريب حوالي 15 % من قوات النسق الأول، على عمليات عبـور حقيقيـة، وأصبحوا القدوة لـ 85 % الباقين من التشكيلات، وجرى التعرف على أساليب التعامل مع طيران العدو، وزالت الرهبة من نفوس المقاتلين الذين شاهدوا سيلا جارفا من المقاتلات الإسرائيلية، تتعاقب عليهم دون أن تحدث تأثيرا يذكر، ومن ثم لم يصبح الطيران هو الشيء المخيف لهم. كذلك، تمكنت وحدات الدفاع الجوي من كسب صراعها مع الطيران المعادي، وأعلنته عالميا في أسبوع تساقط الطائرات الإسرائيلية، الذي بدأ اعتبارا من 30 يونيه 70، وتعرف من خلالها قادة الدفاع الجوي على الأسلوب الأمثل لبناء إستراتيجية السد المنيع، المتمثل في حائط الصـواريخ، الذي تقدم بكل جـرأة إلى أقصـى المواقـع غرب القنـاة، قبل لحظـات من إيقاف إطلاق النيران يوم 8 أغسطس 1970 ليشكل بذلك مصاعب هائلة أمام قائد القوات الجوية الصهيونية (الذي طلب في السادس من أكـتوبر مهلة 48 ساعة، للتغلب على هذا الحائط، قبل أن يحقق السيطرة الجوية على جبهة القتال، لكنه فشل في ذلك تماماً. وكان نتيجة هذا الفشل إصداره أوامر بعدم اقتراب الطيارين من خط الجبهة لمدى 15 كيلومتراً، محطما بنفسه نظرية الأمن الصهيوني، التي تعتمد على قواتها الجوية بصفة أساسية).

ثانياً: حرب الاستنزاف التي تخوضها المقاومة اللبنانية ضد العدو منذ 8-10-2023

بعد أسبوع من إنهاء مناورات "عربات النار "نهاية أيار/ مايو 2022، والتي استمرت شهراً أسمته القيادة العسكرية الصهيونية بشهر الحرب، تلقى الجنرال احتياط إسحق بريك قائد سلاح المدرعات الصهيوني السابق (2009-2018) رسالة من قادة كتائب نخبوية في ألوية الفرقة 98 المظلية (التي تشارك اليوم في الحرب على غزة في قاطع العمليات الجنوبي)، عبّروا فيها عن خشيتهم من تداعيات المواجهة المقبلة، في ظل انعدام الجاهزية والاختلاف الجوهري بين التقارير التي يكتبها قادة الجيش عن التدريبات وبين ما يحدث على ارض الواقع.

ما قرأه الجنرال بريك، كان صادماً، خاصة وأن المناورات التي شاركت فيها القيادة الوسطى الامريكية بـ 5600 جندياً كانت محاكاة حقيقية لحرب يخوضها جيش العدو، تحاكي حرباً واسعة تشمل ثلاثة من أهم أعداء "اسرائيل "وهم (المقاومتين الفلسطينية واللبنانية وإيران). تواصل بريك مع صديقه المدير التنفيذي للقناة الرابعة عشرة العبرية الحاخام مردخاي (موتي) سكلار الذي يعرف مهنية واحترافية "بريك" جيداً، وطلب بريك من سكلار ترتيب مقابلة له بشكل عاجل على القناة "المحسوبة على اليمين الديني "لأن لديه ما يقوله وهو خطير جداً، تم ترتيب الموضوع سريعاً، وأجريت المقابلة في الاسبوع الثاني من شهر حزيران/ يونيو 2022، وصف فيها الجنرال بريك ما يحدث في الجيش "الإسرائيلي" الفترة الراهنة بأنه "مرحلة الانهيار الخطير"؛ وذلك بسبب الفجوة بين التقارير التي ينقلها قادة الجيش إلى المستوى السياسي وما يحدث على الأرض، مشيراً إلى أن "هناك تراجع كبير في الجاهزية سواء من ناحية عدد المشاركين أو مستوى الأداء."

وأشار الجنرال بريك إلى الرسالة التي أرسلها ضباط وقادة كتائب الفرقة 98 وكشف ان "الرسالة احتوت على حقيقة خطيرة وهي أن غالبية الجنود التابعين للواء لم يزوروا مخزن الطوارئ الخاص بها ولا يعرفون كيف يستخدمون المعدات."

واتهم بريك قادة الجيش بتجاهل "هذه الحقيقة والاكتفاء بعرض تقارير لا تمت للحقيقة بأي صلة لاسيما وأن قادة الكتائب قاموا بإرسال نسخ عن الرسالة إلى قائد اللواء يهودا لف وإلى قائد المنطقة الجنوبية إليعزر توليدانو وإلى قائد الذراع البري تامير يدعي."

ما كشف عنه الجنرال بريك لم يكن صادراً عن جنرال احتياط عادي في غابة الضباط المتقاعدين ذوي الرتب الرفيعة التي تسمى زوراً بـ "اسرائيل"، فقد تولى بريك بعد تقاعده عام 2018 قيادة "مفوضية شكاوى الجنود"، التي تتلقى الملاحظات العامة حول الجيش ووضعه ووضع الجنود وشكاواهم الشخصية والمتعلقة بخدمتهم العسكرية، وخلال توليه هذا المنصب قام بآلاف الزيارات لكل وحدات الجيش، والتقى بعشرات آلاف الجنود، وخرج بتقرير عن أحوال الجيش يعتبر الأخطر بتاريخ الكيان المؤقت، حيث كشف أن الجيش غير جاهز للحرب، وبقي خلال السنتين اللتين تلتا معركة سيف القدس 2021 (التي اعتبر فيها أن المقاومة الفلسطينية قد انتصرت) يحذر من سيناريو مشابه لسيناريو "طوفان الأقصى" حتى لقبه الصهاينة بـ"نبي الغضب الخطير" لأنه كان الجنرال الصهيوني الوحيد الذي توقع سيناريو مطابق لسيناريو 7-10-2023 يوم اجتاح طوفان المقاومة الفلسطينية أمن وهيبة "إسرائيل" ومرغ سمعة الجيش الذي لا يقهر بالوحل.

وقد حذر بريك بالأسابيع الماضية في مداخلات ومقالات في الصحف الصهيونية من أن "الجيش يفتقد للجاهزية القتالية اللازمة للمناورة البرية على أرض غزة الآن ."

وأضاف بريك ــ في مقابلة أجرتها معه منصة "جلوبز" الإخبارية الإسرائيلية ـ أنه حذر القيادة العسكرية الإسرائيلية، وكذلك حذر رئيس وزراء الكيان بنيامين نتنياهو، الذي التقاه شخصيًا، من مغبة الإقدام على تنفيذ عملية عسكرية برية كبرى في قطاع غزة.

وتابع الجنرال بريك: "الخطط العملياتية تأتي في مقدمة الجاهزية القتالية للجيوش، وعليه فإن الجيش الإسرائيلي لم يكن لديه، عند اندلاع هجمات السابع من أكتوبر على مستوطنات غلاف غزة، أي خطط عملياتية على الطاولة لشن هجوم بري كاسح على القطاع."

وقال بريك: "لم يدر في خلد مخططي العمليات في جيش إسرائيل، ولا في حساباتهم اقتحام قطاع غزة وشن عمليات عسكرية واسعة النطاق فيه على الاطلاق، وهكذا وجدوا أنفسهم بعد السابع من أكتوبر في مواجهة موقف صعب لم يعدوا له عدته على الوجه الأمثل، وبات لزامًا عليهم التعامل معه ومن ثم جاءت ردة فعل القوات الإسرائيلية مرتبكة وغير محسوبة فكانت خسائرها فادحة."

وكشف بريك أنه هو صاحب فكرة تأجيل الغزو البري للقطاع لإعطاء فرصة لتدريب المقاتلين على قتال المدن، وهو ما وافق عليه نتنياهو، معطلاً العمليات البرية لعدة أيام لحين الانتهاء من تدريب الجنود الإسرائيليين عليه لا سيما من تم استدعاؤهم من قوات الاحتياط ممن اعتادوا منذ العام 2009 على أسلوب "تضييق الخناق وعدم التوغل."

ولفت بريك إلى أنه لا يحبذ أن تنجر إسرائيل إلى مواجهة على حدودها الشمالية وفتح جبهة مواجهة مع الجنوب اللبناني، واستطرد ان حزب الله لديه "كتائب الرضوان" التي هي أشد فتكًا وكفاءة، وعلى إسرائيل بذلك العمل سريعًا على إقامة منطقة "آمنة" بعمق 500 متر على الأقل بين حدودها الشمالية مع الجنوب اللبناني ."

نفس كلام الجنرال بريك أوضحه طال ليف رام، المحرر العسكري لصحيفة "معاريف"، حيث اعتبر أن "هناك معضلة لدى القيادة العسكرية الإسرائيلية حول فتح جبهة ثانية مع حزب الله، إذ إن من شأن ذلك أن يؤثر في اتخاذ القرارات حول تنفيذ الخطط الحربية في قطاع غزة. ولكنه في الوقت نفسه "يوجد إدراك لديها أنه ليس بالإمكان بعد الآن الاستمرار في احتواء عدوانية حزب الله من خلال الدفاع فقط، وينبغي مهاجمة الخلايا قبل أو بعد تنفيذها إطلاق نار ومهاجمة بنية تحتية لـحزب الله، وأن ثمة حاجة لتصعيد العمليات الهجومية أكثر، بحيث يدفع حزب الله ثمناً، من دون التدهور إلى تصعيد سريع يعني انتقال ساحة الحرب المركزية شمالاً ويتطلب تجميد الوضع بكل ما يتعلق بالجبهة الجنوبية مقابل حماس."

فيما جزم الكاتب السياسي "نداف أيال" بخطورة الوضع في الشمال على الجبهة اللبنانية في مقال له بصحيفة "يديعوت أحرونوت"، قائلاً: "حسب التقدير في إسرائيل، فإن حزب الله وضع ميزان رعب لا يطاق من ناحية إسرائيل: الشمال مشلول، مُخلى وفارغ."

حرب استنزاف فريدة في جبهات المساندة بوحدات هجينة وبأسلحة وتكتيكات لا متماثلة

يواجه "اسرائيل "حالياً تحدياً قديماً جديداً، متعدد المجالات ومن المرجح أن جيش العدو الذي كان يتهرب منذ اجتياح العام 1982 من خوض أكثر من حرب في وقت واحد أو ما تسميه المؤسسة العسكرية الصهيونية "تجنب القتال في عدة ساحات قتالية"، سواء كان هناك تقارب بينها (وهم ينسقون ويدعمون بعضهم البعض) أم لا. وكان

التهرب من هكذا خيار يقوم على اختيار رد يعتمد بشكل أساسي على المفاضلة والترتيب الاستراتيجي بين الساحات والمناورة الحاسمة في كل ساحة وميدان.

منذ اجتياح العام 1982 والذي دخلت فيه العسكرية الصهيونية في شرك القتال مع قوى المقاومة التي تتبنى الحرب اللامتماثلة والهجينة، خاض جيش العدو سلسلة من نزاعات أنظمة الحلقة الواحدة القصيرة نسبياً. أكثر من مرة، خلال أنظمة الساحة الواحدة، وسعى محور المقاومة على مدى سنوات تشكله الـ 40 إلى تقسيم قوة العدو العسكرية عبر فتح جبهات أخرى (الانتفاضة الفلسطينية الأولى والثانية والثالثة – حرب تموز عام 1993 ونيسان عام 1996 في لبنان – حرب تموز 2006 وحروب غزة في الأعوام 2009-2012-2014-2021-2022-2023)، لكن العدو اختار الاحتواء وتركيز الجهد في ساحة رئيسية واحدة، بدأ هذا الفهم يتشكل عند العدو بعد عملية سيف القدس عام 2021 ومنذ ذلك الحين، نفذ جيش العدو عمليتين سريعتين كبيرتين في ساحة واحدة ضد حركة الجهاد الإسلامي في غزة (عمليتي "وحدة الساحات" "و"ثأر الأحرار")، ثم أتبعت بعملية ثالثة سريعة صيف هذا العام في مخيم جنين "بأس الاحرار"، كان ذلك محاولة ساذجة من العدو للتهرب من حرب الساحات المتعددة من خلال ما اصطلح على تسميته بخوض "أيام قتالية "حيث أن التقدير الاستراتيجي لقيادة العدو كان يلزمها بتجنب التحدي الجديد متعدد الأوجه وهو عودة التهديد الخطير إلى الجبهة الداخلية "الإسرائيلية". وهذا ما لفت إليه رئيس الأركان الجديد الجنرال هرسي هاليفي في خطاب تسلمه منصبه من خلفه الجنرال آفيف كوخافي حيث أشار هاليفي بأسلوب هو أقرب من الاستشراف أنه: "تعد القدرة على إدارة حملة متعددة الساحات يتم إجراؤها في كل من الدائرتين الأولى (غزة – لبنان – سوريا) والثالثة (إيران – العراق – اليمن) تحديًا جديدًا نسبيًا للقيادة العليا لجيش الدفاع الإسرائيلي ."

لكن كل كوابيس "اسرائيل "خرجت دفعة واحدة بعد 7-10-2023 حيث أن الأسلوب العسكري الذي اعتمده جيش العدو في الرد على عملية "طوفان الأقصى "فتح على كيانه "صندوق باندورا"، فمنذ اليوم الثاني دخلت جبهة لبنان وخلال أيام دخلت جبهات العراق واليمن وسوريا في حرب من نوع جديد هدفها الرئيسي كبح جماح الوحش الذي أطلق آلته العسكرية المدمرة على غزة، والأمنية على الضفة الغربية، وانغمس سريعاً بخطوات انتحارية (محاولة كسر غزة والضفة الغربية) فرضت على محور المقاومة بأجمعه وللمرة الأولى اطلاق جهد عسكري ممتد لمؤازرة ومساندة الجهد الرئيسي للمقاومة الفلسطينية في غزة والضفة وحيث أن الأثر المعنوي والتراكمي للعاملين العراقي واليمني كان حاسماً فإن العامل اللبناني الذي يعتبر "فيزيائياً" الأقرب اشتباكاً مع العدو كان الجبهة التي حسمت نطاق الردع للعدو وانتزعت منه أي مبادرات للحسم .

وهنا بيت القصيد حيث أن العملية البرية في غزة أطلقت بالأساس لاستعادة عنصري الردع والحسم المفقودين، ولم تعد التطاولات العسكرية التي ابتدأت منذ حرب تموز/ يوليو 2006 بهدف ترميم الردع واستعادة القدرة على الحسم واستمرت مع حروب غزة الستة بين عامي 2009 و2023 دون جدوى. فإن الوحش الصهيوني الجريح والمذلول الذي أطلق ليلة 7-10-2023 دخل في مغامرة غير محسوبة تثبت الأيام أنها حملة ذات أهداف عسكرية تعبوية وليس استراتيجية .

لقد فرض الإيقاع المقاوم على العدو العمل بخلاف ما تمليه مدارس الحرب، فلقد شن جيشه على غزة حرباً أقل ما تعتبر في العلم العسكري بأنها أعمال مداهمة عسكرية لعدو خفي تتواكب مع توحش عسكري جوي شامل ضد بيئة المقاومة المدنية الحاضنة، وليست كما يصفها الخبراء بأنها حرب مدمجة بين الحرب "البر- جوية" والحرب وفق "عقيدة الضاحية" مع تظليلها أو تلفيقها بحرب "الصدمة والرعب."

فللحرب "البر- الجوية "شروطها التي حاول الجنرال طيار دان حالوتس رئيس اركان جيش العدو السابق تطبيقها خلال حرب تموز/ يوليو 2006 ولم يستطع ذلك خلال 33 يوماً. واعترف بعدها بفشله وفشل نظريته التي كانت تعتمد على خطة "العُقاب والأفعى "ابتكرها عام 1995 رئيس استخباراته العسكرية الجنرال عاموس يدلين وهو ضابط طيار أيضاً وطبقت خلال حرب نيسان/ أبريل 1996 دون فائدة أو جدوى .

إن هذه الخلطة الغريبة من مدارس وطرائق القتال التي يطبقها العدو في ميادين غزة بشكل رئيسي ولبنان بشكل نسبي (الحرب البر- جوية – حرب عقيدة الضاحية – حرب الصدمة والرعب) تدفعه إلى التخلي عن قوائمه الرئيسية في الحروب التي شنها منذ العام 1948 على أساس استراتيجيات وأصول وأهم هذه الأصول:

أولاً: تطبيق الإستراتيجية التشتيتية، وعزل مسارح العمليات

لتطبيق ذلك، ينبغي للقوة المهاجمة أن تلجأ إلى مفهوم الاقتراب غير المباشر، والعمل على أكثر من جبهة، في آن واحد؛ لتشتيت الخصم، وتثبيت قواته، وليست الإستراتيجية، التي حملت مفهوم الحربين ونصف الحرب، أو الحرب ونصف الحرب، إلا تعبيراً عن هذه الإستراتيجية. إلا أن جيش العدو استبدل الاستراتيجية التشتيتية باعتماد اسلوب العمل بمنطقين قتاليين الأول هجومي في غزة والثاني دفاعي "احتكاكي" في الجبهة اللبنانية وحاول من خلال هذين المنطقين تفريق مسرح العمليات اللبناني عن المسرح الفلسطيني إلا أن المقاومة التي كانت تقاتل بمنطق التعاون وضعت في خطتها الأساسية مفهومين جوهريين :

الأول: قتال العدو بنظام الحشد والكتلة الموزعة وذلك لاستدراج أصول العدو العسكرية إلى تشتيت كتلته وحشده وعدم التمكن من اعداد الحشد الكافي لغزة.

ثانياً: القتال بأسلوبين عمليتين في آن واحد بمواجهة العدو يجبره على تشتيت جهده وتركيزه (بين دفاع وهجوم) على مستوى الاستراتيجية العسكرية الأول دفاعي "تعرضي" في غزة حيث تقوم المقاومة الفلسطينية بتعطيل مناورة العدو الشاملة من خلال القتال من جبهة داخلية بطريقة الخفاء والعمل التعرضي والثاني دفاعي هجومي "احتكاكي" على الجبهة اللبنانية هدفه سلب ترسانة أسلحة ومعها مميزات العدو الالكترونية فاعليتها وتحييدها بشكل جزئي أو نهائي عن الميدان وهذا النموذج من القتال يعتبر جديداً ومبتكراً حيث أنه يلغي تأثير الحافة الأمامية، ويجعل القتال كله تقريباً مؤثراً في منطقة مسؤولية العدو فيسلب منه المبادأة والمبادرة ويجعل سلوكه القتالي أقرب من عمليات ردات الفعل التي تقابلها المقاومة بالضغط أكثر على نطاقه الدفاعي الرئيسي، وتجعله بلا جدوى وتفرض عليه اعتماد خط الدفاع الثاني قاطعاً الاشتباك القريب ومحولاً المعركة إلى "مطاولة" تعبوية.

ثانياً: تطبيق مبادئ الحرب وفق القوائم الصهيونية

تحرص قيادة العسكرية، في كل معاركها على تطبيق قائمة مبادئ الحرب الخاصة بالعقيدة العسكرية الصهيونية، بشكل دقيق وفق ما تسميه "توراة الحرب"، وفي طليعة هذه المبادئ:

أ. الهدف:

يشمل تحديد هدف لكل عمل عسكري، على جميع المستويات، ويتم الربط بين الأهداف في جميع مستويات الحرب. ويظهر هنا أن لا هدف محدد في جبهة غزة حتى الآن في ظل الاقتصار على التوحش العسكري والانتقام من أبناء غزة، يقابل ذلك غياب النظرة المنهجية للحرب على الجبهة اللبنانية، فمنذ أيام قال رئيس أركان جيش العدو

هيرتسي هاليفي أنه "صادق على خطتي دفاع وهجوم (في نفس الوقت) للجبهة الشمالية وأوعز بالجاهزية لكافة وحدات قوات الجيش "وهذا إن عنى شيئاً فإنه يعني ضياعاً في المؤسسة العسكرية بخصوص التعامل مع لبنان، حيث أن خطة الهجوم تعني تشغيلاً معيناً للقوات أما خطة الدفاع فتعني تشغيلاً معاكساً للخطة الأولى وذلك يعني تأمين موارد بشرية ومادية مختلفة تماماً مع الموارد المطلوبة للهجوم .

ب. العمل الهجومي:

يعني أن امتلاك المبادأة، والاحتفاظ بها، واستغلالها، هو أساس العمل الهجومي، لتحقيق الهدف من الحرب وحيث أن جيش العدو أصبح فاقداً للمبادرة والمبادأة منذ نجاح عملية "طوفان الأقصى" أي قبل بدء العمل الهجومي إن حصل فسيكون هدفه هو استعادة المبادأة فبدون "امتلاك المبادأة والمحافظة عليها واستغلالها لا يصح القول بأن القوات باتت منخرطة في العمل الهجومي.

ج. الحشد:

حشد جميع عناصر القوة القتالية، قوات ونيران، في المكان والزمان الحاسمين، لتوجيه ضربة قوية، تحقق صدمة للخصم، لتحطيمه وليس إضعافه.

د. الاقتصاد في القوى:

يعنى استخدام كل القوة القتالية المتوافرة، بأكبر قدر من الفاعلية، وتخصيص الحد الأدنى الضروري من القوة للجهود الثانوية، ويشمل ذلك أيضاً التوزيع المناسب للقوات لتنفيذ المهمة، وتحقيق هدف الحرب.

هـ المناورة:

تعني حركة القوات؛ لكسب مزايا عن العدو، وتفرض وضعاً جديداً، أو مشكلات جديدة على العدو، ويتطلب نجاحها التفوق على العدو، في التخطيط، والتنفيذ، ومجالات الفكر العسكري، ونقل المجهود الرئيس وتحويله لاستثمار النجاح.
إن عمل محور المقاومة على تشتيت حشد العدو بمواجهة حشد محور المقاومة الموزع يفرض على العدو هدراً لطاقاته ويجعله فاقداً للأداة الأساسية التي يمكنه بها المناورة وتزخيم العملين الهجومي والدفاعي في المقابل فإن إفقاد العدو هذه الميزات الثلاث يمنع العدو من التشغيل العملياتي السليم لقواته وتركيز جهودها واستثمار نجاحها.

و. وحدة القيادة:

تعني تبعية القوات إلى قيادة واحدة، لها صلاحيات مطلقة في توجيه القوات، نحو هدف مشترك واحد، وهذا يتطلب تنسيق الجهود، وتعاوناً مشترك بين القوات.

ان إجبار العدو على خوض الهجوم والدفاع على المستوى المركزي والاستراتيجي يضرب هذا المبدأ ويجعل قوات العدو تبدو كجيشين متناقضين ضد غزة ولبنان وهنا تبدو المعركة المجزأة بين ميدانين ثقيلة على العدو فهو مضطر لصرف موارد عقلية وتخطيطية وقيادية وبشرية ومادية مضاعفة لتلبية طلب جبهتين رئيسيتين تتمتع كلاهما بأهمية استراتيجية هما جبهة غزة الرئيسية وجبهة لبنان المساندة.

نقطة تحول في جبهة الاسناد اللبنانية: العدو يتخبط دون خطط

خرجت ثلاث مؤشرات دفعة واحدة يومي الثلثاء 27-2-2024 والأربعاء 28-2-2024 في المنطقة الشمالية لفلسطين المحتلة تشير إلى حجم الأزمة التي يعانيها جيش العدو من تطور تأثير حالة المطاولة التي تناجزه بها المقاومة الاسلامية وأخواتها في لبنان منذ 8 تشرين أول 2023 والتي تتطور بشكل تصاعدي تكتيكاً وميداناً مع تطور محاولات العدو المس بالخطوط الحمراء التي يعني تجاوزها تصعيداً متدرجاً وصولاً إلى اجتياز منطقة حافة الهاوية إلى الهاوية بعينها.

فمع تصاعد حرارة العمليات يوم الجمعة 16-2-2024 اعتمدت المقاومة في ردها على تجاوزات العدو اسلوب "الردع بالايلام" وبشكل متصاعد بعدما أخذ العدو ينجرف في التصعيد اليومي غير المضبوط حتى يوم الثلاثاء الماضي (2/27) الذي يمكن وصفه بواحد من أشد الأيام تصعيداً على مستوى الرسائل النارية الردعية التي تطلقها المقاومة في لبنان منذ الثامن من تشرين أول 2023 وهو اليوم الذي انخرطت فيه بشكل مباشر في عملية طوفان الأقصى.

فبعد ساعات من تسديد ضربتين صاروخيتين كبيرتين لأهداف عسكرية وازنة في قاعدة مطار بيت هيلل العسكرية و في مدينة كريات شمونة (الخالصة) بتوقيع "كتائب القسام – تنظيم لبنان"، سمح الرقيب العسكري الصهيوني لأول مرة بالإفراج عن جزء من المشهد الذي يعايشه جيش العدو في حزام المستوطنات (الثكنات) المتاخمة لجنوب لبنان والذي يبلغ سمكه 10 كيلوترات وطوله حوالي ال 100 كيلومتر. فتداول رواد مواقع التواصل العبرية ما اعتبروه صورة مرعبة لما يعايشه جنود ومستوطنو مدينة كريات شمونة منذ بداية الحرب وظهر حجم الأثر اليومي الذي تخلقه أعداد قليلة من صواريخ المقاومة في بنية العدو المعنوية والنفسية.

بعد ساعات وخلال جولة لرئيس هيئة أركان العدو "هيرسي هاليفي "له على المنطقة الشمالية هدد خلال لقائه ضباط وجنود من لواء غولاني بأن "حزب الله سيدفع ثمناً باهظاً جداً "مطلقاً مجدداً كلامه التحفيزي لجنوده الذي لم يستمر وقعه المعنوي أكثر من 40 دقيقة فعند زيارته قاعدة مستحدثة للفرقة 143 جنوب المالكية دوت صفارات الإنذار لثواني في القاعدة قبل أن تتساقط عشرات الصواريخ عليها وعلى محيطها مما اضطره للاحتماء وكامل الطاقم المرافق له من الأركان ومن القيادة الشمالية للعدو.

بعد ذلك بساعتين تعرضت قاعدة ميرون المدمجة (جوية + تجسسية) لوابل من الصواريخ المضادة للدروع للمرة الثانية في ذلك اليوم لضربة أدت إلى تعطيل المنظومة التجسسية المتطورة الملحقة بالقاعدة مما اضطر العدو إلى اطلاق منطاد تجسسي في الليل ليعوض عن الخسائر الكبيرة التي تعرضت لها المنظومة الملحقة والتي أفقدت العدو أكثر من 60% من إمكانياته التجسسية بعيدة المدى التي يفتقدها بشدة هذه الأيام بعدما كانت المقاومة أجهزت على معظم منظومات التجسس الالكتروني العسكرية في شمال فلسطين لذا أصبحت هذه المنظومة الملحقة منذ سنوات بقاعدة ميرون على درجة عالية من الأهمية.

هذه المؤشرات الثلاث (السماح بعرض صور دمار كريات شمونة – احتماء رئيس هيئة أركان جيش العدو بعد دقائق من إطلاقه لرسالة تحفيزية لجنوده – الاستعاضة السريعة عن منظومة الكترونية أرضية بمنطاد تجسسي فائق) تؤكد أن العدو يعيش أزمة "أوهام النصر" التي زرعها جهاز دعايته بحملته التضليلية الموجهة للداخل الصهيوني وللخارج الغربي منذ 7-10-2023 والتي أشعلت مخيلة الجمهور الصهيوني قبل أيام بإمكانيه ضرب المقاومة في لبنان وهو ما انعكس على اجابة 60% بنعم كبيرة لشن "عملية عسكرية في شمال فلسطين ضد حزب الله على

غرار العملية التي ينفذها الجيش الآن في غزة ".هذا ما يتم تداوله من ثرثارات في المحافل والصالونات العبرية. فماذا يتم نقاشه وبحثه بجدية في غرف العمليات؟

العدو يفتقد لعنصرين ضروريين لإنجاح حرب الاستنزاف: الصبر وفن التعامل مع الزمن

رغم التزام معظم جنرالات العدو والمراسلون العسكريون الكبار بعدم التسريب والثرثرة حول الحقائق الميدانية كونهم من أعضاء المطبخ العسكري ومن ضمن فريق "الثينك ثانك" العسكري الامني الصهيوني فإن بعضهم وجد طرق للتسريب عبر صحيفتي الواشنطن بوست والنيويورك تايمز وعبر معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى ومن خلال مسح وتحليل مضمون ما سربه الخبراء العسكريون الصهاينة في الوسائل الثلاثة الآنفة الذكر يتبين لنا ما يلي:

1- يعاني جهاز صنع القرار الصهيوني (مجلس الحرب والكابينيت) في هذه الحرب مع الجبهة اللبنانية نفس ما يعانيه مع جبهة غزة (كونهما الأقرب تماساً بالعدو) فصانعي قرار الحرب الصهاينة والمصرين على إدامتها ذهبوا إلى ميدان يتقنه خصومهم خاصة عندما أصر العدو على الدخول في خطوات يتطلب تنفيذها وقتاً طويلاً وتورط مجلسي الحرب والكابينيت بتحديد شروط ذات سقوف عالية مع جبهتي غزة ولبنان، وإذا ما تجاهلنا حقيقة أن إمكانات العدو في تنفيذ ما شطح فيه بشروطه يشبه النفخ في قربة مثقوبة، كما أن الزام العدو نفسه بورطة شروط السقوف العالية ومزاعم وهمية افتراضية في ظل تأخر ولاحقاً تضاؤل فرص الحسم فإن هذه الورطة في ظل استمرار امتلاك المقاومتين اللبنانية والفلسطينية لسلاح الردع وورقة توريط عدوها بحرب اقليمية يضع هذا العدو أمام شعبه بصورة "بائع الأوهام والأكاذيب" أو على الأقل يظهره للجمهور بصورة القيادة الفاشلة التي تتخبط بإدارة أزمة بهذا الحجم. وما يفاقم ذلك هو الاستراتيجية التي يواجهها بها الخصم (المقاومتين اللبنانية والفلسطينية) في الميدان بتكبدها الخسارة تلو الأخرى معتمداً صبر منظمات "حرب العصابات "الطويل الذي يراكم هزائم عدوه التكتيكية ويجمعها بالنقاط لتتحول إلى واقع استراتيجي لا يمكن تجاهله عندما يبدأ هيكل العدو بالتداعي ثم يتحول من هذا الواقع المفروض إلى تسديد ضربات أشد وأعلى من المستوى التكتيكي لتحقيق النصر الاستراتيجي المطلوب.

2- تسرع العدو بفرض معركة بلا استراتيجية خروج في محاولة "فاشلة "لعكس ما أذاقته إياه المقاومتين اللبنانية والفلسطينية طيلة 8 جولات حروب والتي كانت تنتزع منه الانتصارات من خلال زجه في حروب ومعارك "مقصوص منها إستراتيجية الخروج" سبب عجلة العدو تلك هو المظلة الدولية التي غطته بها واشنطن والتي أطلقت يديه في مغامرة بلا حساب في مشروعي "التوحش والتغول في غزة" و "نقل خطة المعركة بين الحروب إلى الميدان اللبناني". وجدت قيادة المقاومتين اللبنانية والفلسطينية أن عدوهما وبعدما أخذته العزة بالإثم انزلق طائعاً إلى ميدان تعرفان كامل تفاصيله وتحفظانه من ألفه إلى يائه فجذبتا بحرب تسجيل النقاط عدوهما إلى مصيدة تستنزف (ردعه – وحسمه – ومباءته – فضلاً عن طاقته الاستراتيجية) وصممتا على المضي قدماً في تلك المعركة المفتقدة لاستراتيجية الخروج لتمارسا من خلال استراتيجية الالف جرح خطة جعلت حليف الولايات المتحدة الامريكية النافذ "إسرائيل" عنصراً في إضعاف سطوة واشنطن الاستراتيجية في منطقة غرب آسيا.

3- الحساب المفرط في التفاؤل بإمكانية تحويل هزيمته المدوية في 7-10-2023 إلى نصر مدو بعد حصوله على الضمانة والحماية الأمريكية والغربية اللامحدودة وهذا ما حذرت منه جميع مراكز التقدير الامريكية

الرسمية والخاصة واعتبرته خطأً فادحاً أوقع به جهاز التقدير الصهيوني نفسه عندما استعجل الحسم وفق حسابات خاطئة وعبر احراق المراحل خاصة عندما بدأت تتدفق على "اسرائيل "أحدث وافتك تقنيات السلاح وبسخاء لم يشهده هذا الكيان حتى في حرب أكتوبر عام 1973 عندما مدته واشنطن بجسر جوي عسكري أعاد له بعض ماء الوجه بعد هزيمته المدوية على يد الجيشين السوري والمصري في ذلك الوقت. إلا أن حساب العام 1973 شيء وحساب العامين 2023 و 2024 شيء آخر ومدارس الحرب تغيرت منذ ذلك الوقت حيث أن الاسلحة التي زودت بها واشنطن حليفها الاستراتيجي عام 1973 وبعد نصف قرن كانت أسلحت تسمح بهزيمة جيوش كلاسيكية وليس الجيشين البطلين المصري والسوري وهذه الأسلحة لم تعد تعني شيئاً في عصر الحروب اللامتماثلة والهجينة والمدرسة العسكرية الامريكية الصهيونية القديمة التي اعتمدت على التكنولوجيا والسلاح المتفوق لم تعد تصلح في هذه الأيام التي تعتمد فيها منظمات حرب العصابات الجديدة على أسلحة كاسرة جديدة تصلح لكسر المدرسة العسكرية الامريكية الصهيونية الجديدة التي تعتمد على مبدأ التفوق التكنولوجي وتشابك الأذرع المعركة المتعددة الأبعاد التي ترتكز على القوة (والقوة فقط) كبعد جذري في عقائد القتال الجديدة. ولقد تسببت الاسلحة التي "سخر منها الامريكيون والصهاينة في بادئ الأمر" وخاصة تلك المستعملة في ميداني غزة ولبنان بجعل معاناة الجيش الموهوم بقدرة طيرانه ودباباته واسلحته المتطورة بحسم المعركة سريعاً، معاناة طويلة وهذا ما استطاعت تحقيقه المقاومة في لبنان وغزة منذ الأسابيع الأولى وبدأت توظفه في سلب عناصر القوة المؤقتة من يد عدوها.

عناصر حرب الاستنزاف التي تخوضها المقاومة في جنوب لبنان

مما تقدم فإن العدو يقاتل حاملاً سمات "إخفاقه" من خلال استعجاله وتعجرفه العسكري واتكائه على مظلة غيره في معركة يفترض أن يمارسها عن نفسه ولا يمارسها الغير عنه.

في المقابل فإن اعتماد المقاومة على استراتيجية "حرب كسب النقاط "طويلة النفس تمتلك وتراكم يوماً فيوماً عناصر قوتها التي تسمح لها بلجم عدوها في الميدان.

وقد مارس سماحة أمين عام حزب الله الذي يعتبر قائداً عاماً للمقاومة الاسلامية في لبنان هذه الاستراتيجية طويلة النفس التي تعتمد على الانجاز الدائم ومراكمته وفرض المعادلات وفق أوقاتها الصحيحة وبموازينها الدقيقة. وذلك وفق مراحل ظهر منها التالي:

1- **مرحلة الصبر الاستراتيجي وتسجيل النقاط** التي استمرت ما يقارب 50 يوماً استطاعت فيها المقاومة تحييد أهم عناصر تفوق العدو على الجبهة اللبنانية على امتداد 100 كيلومتر طولاً وبعمق 5 إلى 8 كيلومترات عرضاً. وهي (منظوماته التجسسية التكتيكية والتعبوية – نقاطه التجسسية والدفاعية الحدودية – مواقعه القريبة جداً من الحدود – دباباته – مدرعاته – آلياته العسكرية بجميع أنواعها - مرابض مدفعيته التكتيكية – خطوط تحركه على الحافة الامامية – خطوط امداده الامامية – منظومات اتصالاته التكتيكية) واعتمدت في كل ذلك على الأسلحة المناسبة والفعالة لذلك الهدف كما ألزمت العدو بإفراغ كل مستعمراته المنتشرة على الحدود اللبنانية الفلسطينية والتجول فيها بيقظة وتغيير نقاط ومسارات الحركة إلى مسارات طويلة ساترة.

2- **مرحلة التشتيت والتشويش التعبوي** والتي استمرت (45 يوماً) والتي سعت فيها المقاومة إلى منع العدو من اعادة صيانة وتعويض تجهيزاته الاستخبارية وجعل أي محاولة في هذا المجال مغامرة يدفع ثمنها العدو قتلى وجرحى في الميدان واستخدمت ميزة تعطيل قسم كبير من وسائل ووسائط استخبارات العدو العسكرية لتجعل المراكز القيادية للفرقة الاقليمية 91 وثكناتها وقواعدها ونقاطها الضعيفة التي تعتبر نقاط ضعف في خطة الانتشار والاستعداد العسكري الصهيوني غير قابلة للسكن أو للخدمة وفيها استعملت المقاومة صواريخ "بركان 1 و 2" وهو ما خلق ثغرات كبيرة في تماسك جبهة العدو الأمامية كما فرض عليه تجميع قواته في ظروف عسكرية وحياتية قاسية في المستعمرات كمجموعات صغيرة وفي النقاط المستحدثة في الفلوات التي باتت تعاني من اكتظاظ سمح للمقاومة في الحالتين باقتناص جنود العدو "كالبط "وفرض ذلك التأثير على استعداد وانتشار وجاهزية العدو بمستوى أعلى ففي المرحلة الأولى كانت السرايا والفصائل عرضة للاستهداف أما في المرحلة الثانية فباتت الكتائب العاملة عرضة للضرب المتواصل مما رفع من خسائر العدو بالأرواح والعتاد وجعل قيادة العدو مشغولة بالتفتيش على ثكنات وقواعد جديدة لتأوي جنودها. واستمرت المقاومة أيضاً بتنفيذ عمليات موضعية تسمح بالمحافظة على نتائج المرحلة الأولى لتضمها إلى ناتج المرحلة الثانية وهذ ما فرض على العدو استنفاذ قسماً كبيراً من وقته في التفكير بحل معضلة استمرار المقاومة بتسديد ضربات تساهم باهتراء الاستعداد في الشمال وهذا الوقت كتان من المفترض حسب قيادات العدو "كنتنياهو وغالانت" أن يخصص كله للتفكير بمعضلة تباطؤ العملية البرية في غزة.

3- **مرحلة التأثير والاحباط الاستراتيجي** والتي استمرت (35 يوماً) وبدأت في الاسبوع الثاني لشهر كانون ثاني الماضي بضربة قاعدة ميرون الجوية المكثفة وقامت فيها المقاومة بإدخال أسلحة جديدة تؤمن غرض وهدف تلك المرحلة بالحد المطلوب فأدخلت منظومات صاروخية مباشرة صغيرة الحجم وخفيفة الحمل وذات قدرة تدميرية عالية ومدى فعال يصل إلى 10-12 كيلومتر وبعض من هذه الصواريخ حققت إصابات مباشرة ومدمرة في قاعدة ميرون التي تعتبر درة التاج لطيران العدو وتسببت بتعطيلها لعدة أيام. كما أدخلت المقاومة سراً صواريخ حديثة مزودة بتقنيات التملص الراداري والالكتروني عادت وكشفت عنها في بداية المرحلة الرابعة. عموماً بدأت مرحلة "التأثير والاحباط الاستراتيجي" باستهداف جميع الثكنات والمراكز والقواعد التي تعتبر في الترتيب الهيكلي للمنطقة الشمالية مصنفة ثكنات وقواعد قيادية ركزت فيها المقاومة على العمق "التعبوي" للعدو في المنطقة الشمالية مستهدفة مراكز الاتصالات ومراكز القيادة والسيطرة والمراكز القيادية ومستودعات الامداد و الذخيرة وأفواج المدفعية الثقيلة والتجمعات الكبيرة للجنود والآليات فضلاً عن مراكز تجمعات الألوية والثكنات الرئيسية بعمق (8 إلى 12 كيلومتر) وقد تحمل النسق الاول للترتيب والاستعداد العسكري الصهيوني الضربات الرئيسية لهذه المرحلة وخاصة ألوية وكتائب الفرقتين 91 و210. كما ركزت المقاومة على الطرف الغربي للجبهة الشرقية التي انتشر فيها أقوى ألوية الدروع والمشاة في الفرقتين والتي تعتبر عقدة قوة للعدو.

4- **مرحلة الزجر والايلام** وذلك بعد أن تمادى العدو في استهدافه للمدنيين وقد أطلق سماحة السيد حسن نصر الله على هذه المرحلة شعار "الدم بالدم "وتستمر هذه المرحلة منذ 11-2-2024 من ضربة قيادة المنطقة الشمالية في صفد والتي استهدفت قاعدة القيادة ومركز الدمج العملياتي التابع للقيادة والذي يهتم بإمداد قيادة المنطقة الشمالية بأحدث وضعيات وصور الموقف العسكري في منطقة مسؤولية القيادة الشمالية ككل ورغم أن هذه العملية لم يتم تبنيها حتى اليوم ولم يستطع العدو حتى الساعة تشخيص

المنظومة الهجومية التي استهدفتها أكانت مسيرة أو صاروخاً إلا أن ذلك تزامن مع رد المقاومة على مجموعة من المجازر التي ارتكبها العدو ضد المدنيين والتي طالت قواعد وثكنات للفرق الثلاث العاملة في ذلك اليوم في المنطقة الشمالية "143 و 210 و 91 "أفرجت المقاومة عن منظومتي فلق 1 وفلق 2 ومنظومة ألماس 1 كما أدخلت صواريخ الغراد المطورة وصواريخ كورنيت مطورة ومسيرات انقضاضية وهجومية واستطلاعية معظمها من الجيل الجديد المطور الذي لم يكن العدو يعرف عنه شيئاً. نتيجة للفوضى التي تسببت بها مراحل المقاومة الاربعة أعادت القيادة الشمالية للعدو نشر الفرقة 36 مدرعة في المنطقة التي كان مجاهدو المقاومة يتمنون أن تنشر فيها وهي المنطقة الممتدة من جنوب محيبيب إلى حدود الغجر المحتلة كان هدف العدو من عرض القوة ذلك تعويض ما أصاب الالوية والكتائب الصديقة في القطاعين الشرقي والغربي من وهن نتيجة للضربات المتتالية التي تعرضت لها إلا أن العدو بتصرفه هذا وضع الفرقة 36 المثخنة بجراحها في غزة بمواجهة منظومة نيران المقاومة. وجاءت الضربة الأكثر إيلاماً قبل أيام عندما أسقطت المقاومة الاسلامية طائرة استطلاع غير مأهولة من طراز هرمز 450 زيك والتي تعتبر من أخطر طائرات العدو المسيرة من حيث الأذية لتحميلها بأربع صواريخ استهدفت واغتالت بها أكثر من مرة مدنيين وعناصر وكوادر للمقاومة كما أن خطورة الطائرة المستهدفة أنها تحمل جهاز تسديد لايزري يغني طائرات العدو الحربية ومسيراته القانصة عن المخاطرة باستخدام عناصر أرضية للتسديد اللايزري خلف خطوط العدو كعناصر وحدتي الشالداغ والماغلان. فضلاً عن تميز طائرة "الزيك" تلك بمنظومات الكترونية وتجسسية فائقة الخطورة. الرد الفوري للعدو كان استخدام طائراته للمس بالعمق اللبناني في سهل عدوس ومنطقة حوش تل صفية وتوجيه سلسلة ضربات في البقاع الغربي وجبشيت واقليم التفاح مما جعل المقاومة تعتبر المنطقة الممتدة من عكا وصفد إلى الحدود اللبنانية الفلسطينية منطقة قتل بدأت بأمطارها بمئات القذائف والصواريخ والمسيرات من أنواع ومديات وعيارات مختلفة.

5- مؤخراً وعلى أعتاب بدء المقاومة المرحلة الخامسة "مرحلة ملاك الموت" التي يبدو أنها ستكون بنسبة ما بلا سقوف وبلا قواعد اشتباك لا تتجاوز الخط الاحمر الاستراتيجي وهدفها الرئيسي نقل إجراءات الايلام التي كانت تطبقها في المرحلة الرابعة إلى إجراءات تهدف بحسابات المقاومة إلى قتل ما يلزم من جنود العدو لردعه عن أي مغامرات مدمرة جديدة قد تعود عليه بالويل.

وتستفيد المقاومة من انتقالها إلى هذه المرحلة من تطور هام على مستوى محو المقاومة ككل (دول ومقاومات) فكل المحور بعد ضربة 14-4-2024 أصبح في حالة اشتباك فعلي واستراتيجي مع العدو والنتيجة الأولية التي تحققت من عملية الوعد الصادق هي أن الردود على سقطات "اسرائيل "الاستراتيجية المتلاحقة باتت تكبح عرابته الرئيسية على الفعل على المستوى الهجومي وتجعل دعمها العسكري له متطابقاً مع استراتيجية دفاعية هدفها فقط منع ذلك الكيان من الانهيار أو تلقي ضربات تؤدي إلى انكساره استراتيجياً.

وقد أظهرت المقاومة للعدو منذ بداية المرحلة الخامسة مجموعة مهمة من الاجراءات أهمها:

1- الاطباق المعلوماتي الميداني (وتجلى ذلك بضربتي تل إسماعيل في الضهيرة وعرب العرامشة المرتبطتين فالتشكيل المستحدث الذي استهدف أمس بعملية مركبة في عرب العرامشة كان هدفه الإدارة الميدانية لعملية اختراق بري محدود طابعه أمني يقوم به قوة من لواء الغولاني ووحدة من الهندسة العسكرية

اليهالوم وتتولى إدارته ودعمه غرفة القيادة والسيطرة والاتصالات التي جرى بناؤها بسرعة لغرض انجاح عملية الاختراق)

2- الاشراف التعبوي على الميدان المستمد من الاطباق المعلوماتي والتفوق التكتيكي الفني على مدار الساعة ليلاً ونهاراً. لمنع العدو من تحقيق أي تغيير ميداني مهم في مناطق انتشاره (مسؤوليته) يمكن أن يستفيد منه في عمليات مستقبلية في منطقة العمليات المتاخمة لمنطقة مسؤوليته أو في المنطقة "المحرمة" كما تعرف بالعلم العسكري وهي المنطقة الفاصلة بين منطقة مسؤولية العدو ومنطقة عملياته.

3- ادخال المقاومة لنظام قتال الاسلحة المشتركة في تطبيقاتها القتالية لأول مرة منذ 8-10-2023 وهو ما يرفع الأذى للعدو بأضعاف ويحقق ما تتطلبه المرحلة الخامسة كما يرفع مستوى الاستعداد المقاتل من فصائل وسرايا إلى أعلى من ذلك.

4- بعدما كشف العدو علنًا عن فلسفته العسكرية من المس وتحييد كوادر في المقاومة إلى أن استهداف ما يسميه" مراكز المعرفة المهنية العليا داخل الشبكة العملياتية للمقاومة الإسلامية"، ومراقبة مدى الضرر الذي تحققه هذه الضربات بجسم المقاومة العسكري ككل". كما يعتبر العدو أن "تحييد الذين هم مراكز المعرفة من ذوي الخبرة والمهنية، له تأثير نفسي ورمزي، بالإضافة إلى بعض الأضرار التشغيلية، وهو في بعض الأحيان لا يقل أهمية عن الضرر العملي الفعلي. وفي حالة الحرب، يكون الأمر أكثر أهمية في بعض الأحيان، لأنه سيؤثر أيضًا على استمرار السلوك العملياتي حيث إن الشعور بالتسلل والاضطهاد نتيجة عمليات التصفية يدفع "الخصم" إلى التوقف والتحقق من مكان الاختراق الأمني الاستخباراتي. حيث يؤثر هذا التوقف على السلوك التشغيلي". هذا ما يعتقده العدو في المقابل أعطى ذلك بالمجان فرصة ذهبية لتطبيق نفس الامر على كوادر العدو في المجالات الحساسة والأكثر تقدماً والتي تمس بعناصر "تفوقه" كما يعتقدها في المعركة.

اعتمدت المقاومة اسلوب القتل بالقتل المضاعف لوحدات واستعدادات حساسة في جيش العدو فطبقت ذلك عند استهدافها لمنظومتي القبة الحديدية في قاعدة بيت هيليل التابعة للدفاع الجوي والصاروخي حيث سقط قتلى وجرحى (جراحهم خطرة) وهكذا كادر عند العدو دوره اساسي الآن في المعركة ومن الصعب اعداد كادر مشابه لمشغلي القبة الحديدية خلال أيام أو أسابيع وأظهرت ردة فعل العدو على ضربة بيت هيليل المبلغ فيها والتي اقتربت من الجنون إلى حجم الأذى الذي أوقعته المقاومة بهذه العملية. أتبعت المقاومة ضربتها لبيت هيليل بعملية أخطر وأدق في منشأة عرب العرامشة وتسبب الهجوم المركب الذي نفذته المقاومة في 17-4-2024 على منشأة تستخدمها سرية استطلاع الفرقة 146 وقيادة كتيبة استطلاع اللواء 205 المدرع في عرب العرامشة بعدد من القتلى يتراوح بين ال 8 و 12 قتيلاً، حيث أن هذه المنشأة كانت تضم على الأقل 40 ضباطاً ورتيباً متخصصاً في (التحليل الاستطلاعي - الجمع الحربي – الاستطلاع البشري والفني – السايبر – وقصاصي الأثر) والأكيد أن قتل ما بين 8 أو 12 ضابطاً ورتيباً من هكذا اختصاصات حساسة يحتاج العدو إلى سنوات لتعويضهم حيث يخضع الضابط الرتيب في هذه الاختصاصات إلى 36 إلى 48 شهراً ليصبح قادراً على العمل بدون أخطاء.

حرب الاستنزاف الصهيونية المضادة على الجبهة اللبنانية:

يصرح العدو أنه اعتباراً من 8 تشرين الأول / أكتوبر 2023 تاريخ بدء حزب الله (مع تنظيمات أخرى) جبهة أخرى ضد إسرائيل في الساحة الشمالية. يصر حزب الله على أن هدفه هو الدفاع عن القضية الفلسطينية وشعب غزة، وهو ما يسلط الضوء عليه في كل إعلان عن مسؤوليته عن هجماته على إسرائيل..

ويتحمل حزب الله مسؤولية هجماته على إسرائيل، مشيرًا إلى أن غالبية هجماته تستهدف أهدافًا عسكرية. وعندما يدعي حزب الله مسؤوليته عن هجوم على هدف مدني، فإنه يبرر ذلك من خلال الاستشهاد بعمليات جيش الدفاع الإسرائيلي ضد المناطق السكنية في لبنان.

وسيعتبر العدو أنه لا توجد فعلياً مناطق مدنية في جنوب لبنان. إن البنية التحتية العسكرية لحزب الله متداخلة تماماً مع البنية التحتية المدنية في جنوب لبنان ولا يمكن فصلها. ويعمل حزب الله في المناطق السكنية ويستخدم المدنيين كدروع بشرية. ومن أجل تحقيق المصداقية داخل لبنان، يبرر حزب الله حربه ضد إسرائيل بالادعاء بأنه "المدافع عن لبنان."

وبعد أن بدأ حزب الله الجبهة اللبنانية، قامت الحكومة الإسرائيلية بإخلاء 43 بلدة تقع على مسافة تصل إلى خمس كيلومترات من الحدود مع لبنان. بإجمالي حوالي 61 ألف مواطن. تجدر الإشارة إلى أن بعض التجمعات الإسرائيلية لم يتم إخلاؤها بشكل كامل، وحتى كتابة هذه السطور، مددت الحكومة الإسرائيلية فترة الإخلاء حتى صيف 2024.

نشاطات جيش العدو المضادة:

يعترف العدو أن المقاومة اللبنانية تخوض معه حرب استنزاف تقيده في الاستخدام الحر للقوات كما تقيده بالتلويح بورقة التصعيد المقابل في حال استخدم العدو ذراعه الطويلة في لبنان. ويحدد العدو وعدد من مراكز الابحاث العبرية المقربة لمؤسسة صناعة القرار الصهيوني نقاط اشتباكه بالتالي (سنعرضها ونتركها كما أوردها العدو) دون تدخل:

1- إن نطاق الهجمات ضد حزب الله، والتي تم تنفيذ معظمها على بعد حوالي (صفر إلى 5) كيلومترات من الحدود حتى الآن، لا يشكل ضربة خطيرة لقدرات حزب الله العملياتية. فالأنظمة الرئيسية لحزب الله، التي كان يشغلها خلال الأشهر الستة الماضية، مثل منظومة إطلاق الصواريخ، والصواريخ المضادة للدبابات، والوحدات الجوية، لا تزال تحافظ على قدرتها.

2-عند فحص ومقارنة عدد من حوادث إطلاق الصواريخ في شباط 2024 مقارنة بشهر نيسان 2024، فإن منظومة إطلاق الصواريخ، وهي النظام الرئيسي الذي يديره حزب الله، تحافظ على حجم/كثافة نشاطها، كما زادت كثافة تشغيل نظام الطائرات بدون طيار بشكل تضاعف كثيراً ليتجاوز ال 6 أضعاف خلال شهر نيسان وكذلك عمليات إطلاق الصواريخ المضادة للدبابات التي لا يزال حزب الله يطلقها بكثافة مما يعبر عن امتلاكه قدرة كبيرة على إطلاق النار.

3- على الرغم من الأضرار التي ألحقها (جيش العدو كما يدعي) بالبنية التحتية لحزب الله، فمن المرجح أن يكون بعضها في مرحلة إعادة التأهيل، في حين سيتم إعادة تأهيل العديد منها خلال فترة قصيرة.

4- في ضوء تقرير المتحدث باسم "الجيش الإسرائيلي" حول حجم الأضرار التي لحقت بالأهداف التابعة لقوة الرضوان وفي ضوء انتشار جيش الدفاع الإسرائيلي على الحدود، فإننا نقدر أن حزب الله سيجد صعوبة في تنفيذ غزو احتلال "إسرائيل"، والجليل خاضعًا لخطته الأصلية. ورغم ذلك فإن القدرة على التسلل إلى الأراضي الإسرائيلية لا تزال قائمة. ووفقاً لتقديرات العدو (كما يدعي منذ عدة أشهر)، يستطيع حزب الله تنفيذ عمليات هجوم واختراق مستهدف في قطاع محدد مع عدد أقل من عناصر الرضوان بدعم من الوحدات الجغرافية.

5- يسعى الجيش الإسرائيلي إلى استهداف مراكز المعرفة المهنية العليا داخل الشبكة العملياتية لحزب الله، مثل نائب قائد مجموعة إطلاق الصواريخ في حزب الله، علي نعيم أبو مهدي "الأفريقي". وفي الوقت نفسه، يستمر في إلحاق الضرر بهيكل قيادة وحدة الرضوان. والسؤال البديهي هو: ما مدى الضرر الذي تلحقه هذه الخسارة بكفاءة الوحدة مع مرور الوقت؟

6-يزعم العدو أنه بحسب التقارير الأجنبية فإن الغارات الجوية التي استهدفت مواقع المركز في سوريا، مثل موقع سليمان (29 آذار 2024) وموقع جمرايا – دمر (31 آذار 2024)، تشير، من بين أمور أخرى، إلى وجود تأثير كبير لهذه الغارات على تسارع نشاط ممر الأسلحة الإيراني وبنيته التحتية في سوريا (بما في ذلك مرافق مركز الأبحاث).

7- لدى العدو النية لتكثيف، وتدمير كافة البنى التحتية ومواقع مركز الأبحاث في سوريا، والتي أصبحت، وفقاً للتوجيهات الإيرانية (كما يزعم)، أساس أبحاث وتطوير وتصنيع الأسلحة التقليدية المتقدمة.

8- يبدو أن العدو يستهدف قدرة حماس على توجيه "الإرهاب والتحريض" عليه من لبنان، كما يزعم. كما يتضح من اغتيال كبار مسؤولي حماس في لبنان. هادي علي مصطفى (13 آذار 2024)، خليل خرز (تشرين ثاني 2023)، صلاح العاروري ومساعده سمير فندي (كانون ثاني 2024)، جميعهم تم اغتيالهم في لبنان، كانوا متورطين كما يدعي العدو في التخطيط وتنفيذ هجمات على أهداف إسرائيلية من لبنان. وحول العالم.

9- يشدد الباحثون العسكريون الصهاينة على وجوب دراسة نشاط حزب الله في إطار رده على الرد "الإسرائيلي". إن نشاط حزب الله يكون أحياناً مرتبطاً أو رداً على طبيعة الأهداف التي تمت مهاجمتها، في إشارة ليس إلى الساحة اللبنانية فحسب، بل إلى الساحة السورية أيضاً. بمعنى آخر، ما مدى الضرر الذي ألحقه الهجوم بحزب الله؟

10- يطمح حزب الله (حسب ما يروج العدو) إلى الحفاظ على معادلة العين بالعين التي أسسها قبل الحرب. ويحرص أيضاً على الإشارة في تصريحاته إلى أنه عندما يهاجم هدفاً مدنياً واضحاً، فإن ذلك يكون رداً على هجمات "جيش الدفاع الإسرائيلي" على المناطق المدنية في لبنان. وهكذا يبرر "حزب الله" انخراطه في الحرب على الساحة اللبنانية الداخلية بحكم دوره «كالمدافع عن لبنان». وينسى حزب الله فقط أن يذكر أن تكتيكه الأساسي هو العمل بتكتيك الدرع البشري.

11- منذ بداية الحرب، كان هناك اتجاه تصاعدي في الهجمات ضد الأهداف المدنية: في أكتوبر/تشرين الأول، كانت 45 من الهجمات ضد أهداف مدنية أو يحتمل أن تكون مدنية، وفي مارس/آذار كان هناك 117، أي أكثر مرتين ونصف. منذ بداية الحرب، تم تنفيذ 583 هجمة ضد أهداف مدنية، وهو ما يشكل 40% من إجمالي الهجمات. ويناقض العدو كل التفسيرات القانونية الدولية للمدني إذ يكشف إن تعريف العدو للهدف المدني هو عندما تكون هناك ضربة مباشرة ومتعمدة -وعندما يكون للهجوم احتمال كبير لإلحاق الضرر بالمناطق المدنية. ويخلص التعريف

الصهيوني الغريب للهدف المدني أن: "هذا هو الحال أيضًا حتى لو حدد حزب الله الهدف على أنه هدف عسكري ظاهريًا".

12- يعترف العدو أنه خلال الحرب برزت حالات عديدة تشهد على الحفاظ على معادلة العدوان المتبادل بين الجيش الإسرائيلي وحزب الله ("البينج بونج"). عندما يتقدم أحد الجانبين ويهاجم هدفًا نوعيًا أو أبعد، يزيد الجانب الآخر من شدته وفقًا لذلك.

13- المعادلة الأخرى التي تم وضعها من قبل العدو في الحرب هي المعادلة الجوية: هجوم بطائرة بدون طيار لحزب الله يساوي هجوم للجيش الإسرائيلي على أهداف تابعة لوحدات حزب الله الجوية. وفي هذا الصدد، فإن أي غارة جوية يشنها حزب الله باستخدام الطائرات بدون طيار سيتم الرد عليها من خلال هجوم على هدف جيد، يبدو أنه متصل بالنظام الجوي لحزب الله، في عمق لبنان. بالإضافة إلى ذلك، فإن الهجوم على طائرة بدون طيار تابعة للجيش الإسرائيلي بنيران مضادة للطائرات سيؤدي إلى هجوم للجيش الإسرائيلي على أنظمة الدفاع الجوي التابعة لحزب الله. وبناء على ذلك، فإن حزب الله سوف يرد بمهاجمة قواعد جوية يزعم أنها جزء من نظام الدفاع الجوي التابع للجيش الإسرائيلي.

14- في بداية الحرب، كان سلاح حزب الله الأساسي هو إطلاق الصواريخ المضادة للدبابات. وتزايد استخدام إطلاق الصواريخ بشكل مطرد منذ كانون الثاني 2024. ومع ذلك، لا يزال إطلاق الصواريخ المضادة للدبابات مستمرا، ويشير مداها إلى وجود عناصر من حزب الله في المنطقة التي يبلغ طولها كيلومترا بالقرب من الحدود. بمعنى آخر، يواصل عناصر حزب الله العمل على طول الحدود.

15-خلال الحرب، قام حزب الله بتوسيع أهدافه العسكرية والمدنية. ابتداءً من نوفمبر 2023، بدأ حزب الله في استخدام أسلحة جديدة مثل الصواريخ الثقيلة (بركان وغراد) والمركبات الجوية بدون طيار (UAVs) للهجوم. وفي كانون الثاني 2024، بدأ حزب الله باستخدام صواريخ الفلق والماس – صاروخ مضاد للدبابات. بالإضافة إلى ذلك، مع تقدم القتال، بدأ حزب الله في استخدام قاذفات متعددة.

الوضعية الدقيقة لجبهة العدو الشمالية:

في اليوم الـ 174 من الحرب ناقش نسيم مشعل وطال شالو الوضع على راديو (FM 103) مع العقيد (المتقاعد) كوبي ماروم، خبير الأمن القومي والساحة الشمالية، المتقاعد مأزق الحرب في الشمال.

وقال ماروم في بداية المحادثة: "بصفتي أحد سكان الشمال، أشعر أن مجلس الوزراء فقد الشمال، بالمعنى الحرفي للكلمة". "لقد كنا في حرب استنزاف لمدة ستة أشهر، ولن تؤدي إلى أي نتيجة. نحن في خطأ استراتيجي واضح - هناك توجيه سياسي لجيش الدفاع الإسرائيلي واستخدام النار الذي يفشل في صد حزب الله وخلق شروط عودة السكان. حزب الله لا يدفع ثمناً كافياً لقراره ببدء الحرب. كيف يمكن أنه بعد ستة أشهر لم ندمر كل البنية التحتية هناك وما زالت موجودة؟".

وادعى أيضًا أن "هناك حرب استنزاف محدودة هنا. ولم يناقش مجلس الوزراء، مجلس الوزراء الحربي، الوضع في الشمال على الإطلاق في الأسابيع الأخيرة. ولم يعد هناك جهد مركزي من جانب جيش الدفاع الإسرائيلي في الجنوب، ولا يوجد جهد مركزي من قبل الجيش الإسرائيلي في الجنوب، ولا يوجد أي جهد مركزي من قبل الجيش الإسرائيلي

في الجنوب". التهديد في الشمال أكبر بعدة مرات. يجب علينا خلق تركيز الجهود، وزيادة النار. وحتى لو أتيحت الفرصة للجهد الدبلوماسي فإنه سيؤثر على المفاوضات. فالشخصية الأميركية عامل مهم جداً في تعقيد الساحة. لقد مرت ستة أشهر، ولا توجد حكومة إحياء في الشمال، والأضرار أكبر بكثير مما كانت عليه في الجنوب. إنه أمر لا يمكن تصوره، إنه تجاهل تام للأشياء. الأزمة والخلاف مع الولايات المتحدة لها عواقب على الساحة كلها، وبالتأكيد على الساحة الشمالية. الأميركيون لا يريدون حرباً إقليمية أو حرباً في الشمال، والولايات المتحدة هي التي تحتاج إلى تجديد مخزونها. القوات الجوية. ولهذا السبب تمثل هذه الأزمة مشكلة كبيرة بالنسبة لقدرة الجيش الإسرائيلي على الاستعداد في هذه الحملة، وبالتأكيد لحل المشكلة".

بالإضافة إلى ذلك، أراد ماروم التأكيد على أن فرصة الجهد الدبلوماسي ستُتاح، رغم أنه هو نفسه لا يعتقد أن حزب الله سيحترم أي اتفاق يتم التوقيع عليه. "يجب على إسرائيل أن تأخذ زمام المبادرة في الشمال، وأن تحدد الأهداف، وعلينا خفض مستوى النيران مع الأمريكيين، والدخول في حوار حميم معهم. نحن بحاجة إلى الولايات المتحدة بشكل كامل، وبالتأكيد إذا كان علينا الدخول في حرب محدودة".. هناك أزمة ثقة حادة جداً في الشمال من حيث القيادة والسكان. السكان، الكثير منهم لم يعودوا يريدون العودة. إن استمرار هذه الحرب وغياب المبادرة الإسرائيلية يسببان أزمة حادة جداً. ولذلك، يجب على مجلس الوزراء أن يأخذ زمام المبادرة".

"أعتقد أنه كان على إسرائيل منذ أسابيع مضت أن تحرك جهودها نحو الشمال، لزيادة معدل الهجمات على حزب الله على طول خط التماس. على سبيل المثال، لترحيل عشرات الآلاف من الشيعة الذين شكلوا ضغطاً على الحكومة وحزب الله في عام 2011". بيروت، هذه أشياء كان من الممكن القيام بها كأدوات ضغط على حزب الله، ولم يتم ذلك. والحقيقة أنه ضمن هذا الواقع الاستراتيجي المعقد، أقل ما تحتاج إليه الحكومة هو احتضان سكان الشمال، وهذا لا يحدث أيضاً. واختتم كلامه قائلاً: "إنه يؤدي إلى تفاقم الشعور الصعب".

تقييم الرعب القادم من الشمال

ختاماً من خلال ما تقدم يتبين أن العدو الذي يتعامل مع الجبهة اللبنانية بمنطق انجازاته المزيفة والافتراضية في غزة لا يمتلك أي افضلية على المقاومة في المجال العسكري لذا فهو يلجأ إلى تجاوز الخطوط الحمر من خلال استهداف المدنيين والاغتيالات وما يؤكد ذلك أنه يتجاوز الخطوط الحمراء وقواعد الاشتباك في كل مرة تسجل عليه المقاومة نصراً في المجال العسكري وبما أن المقاومة لم تبدأ بعد في استهداف مستوطني العدو فإن لجوء العدو الموارب إلى استهداف ما يسميه الجبهة الداخلية للمقاومة يؤكد بأن لا خيارات بديلة يمتلكها العدو إلا في حال ارتكب خطأ عمر كيانه وارتكب خطيئة شن حرب على لبنان.

وعلى النقيض من العدو فأن المقاومة تمتلك خطط وبدائل مريحة تجعلها تخوض هذه المعركة وفق منطقها بل ويسمح لها بفرض هذا المنطق على عدوها في جميع مستويات التصعيد ففي الوقت الذي زج العدو ب 15 لواءً أي معظم طاقة وفرق المنطقة الشمالية فإن المقاومة لم تستخدم سوى 5 % من طاقتها ومواردها البشرية والمادية و2% من أسلحتها. أما إذا لجأ العدو للخيار البري وهذا مستبعد فإنه سيرى ما تعانيه مستوطنات وقواعد وثكنات الشمال 70 ضعفاً. فعشرات الصواريخ اليومية ستتحول إلى آلاف الصواريخ التي ستدك العمق الصهيوني بدءاً من العمق العسكري بكل مطاراته وموانئه الحربية ومستودعاته ومخازنه وثكنات تجمع جنوده وعلى مدى الخارطة الفلسطينية من إيلات إلى كريات شمونة ومن تل أبيب إلى النقب بمصافي نفطها ومطاراتها المدنية ومحطات الطاقة

والمياه والمصانع وجميع الاحياء والمدن في مربع غوش دان وغوش عتصيون مما يجعل ذلك الكيان المصطنع ينهار خاصة إذا ما قررت قيادة المقاومة اعتماد الخيار الأقصى وهو خطة اجتياح وتحرير فلسطين المحتلة.

يجزم المطلعون أن المقاومة لم تلتزم باي خطوط حمراء سعى العدو منذ بداية الاشتباك على الجبهة اللبنانية أن يفرضها على المقاومة من خلال نمط القتال التدميري الذي مارسه في غزة والذي استهدف المدنيين في المقام الأول ليضغط على المقاومة التي تعمل بقواعدها الخاصة في الاشتباك وتراعي فيها حماية المدنيين والبيئة المقاومة وفق مستلزمات واحتياجات خططها العسكرية والمراحل التي تنفذ من خلالها عناصر هذه الخطط:

1- مساندة غزة والتناغم مع مقاومتها في الضغط على العدو وايلامه والمحافظة على هذا الهدف الأولي والرئيسي مهما تطلبت الحرب من وقت وتضحيات.

2- حماية بيئة المقاومة في لبنان وجنوبه على وجه الخصوص ولو استلزم ذلك تقديم شهداء من مجاهدي المقاومة وفي كل مستويات التصعيد.

3- العمل وفق مبدأ لكل فعل "أحمق "من العدو يقابله ردة فعل أقوى وأشد ايلاماً من المقاومة في الدفاع عن أهالي الجنوب وعن جسم المقاومة العسكري

4- ابعاد بؤر الاشتباك ما أمكن عن المناطق المدنية والسكنية في القرى الامامية.

5- استخدام الأسلحة المناسبة بالقدر الذي يحقق الاهداف المرحلية المقررة. ضمن مبدأ اقتصاد القوى والمحافظة على الهدف بالتكاليف والتضحيات اللازمة.

6- استخدام المطلوب من أسلحة في الوقت اللازم في حال تتطلب الامر تأديب العدو لقاء تطاوله وتجاوزه للخطوط الحمر (وهذا البند يعتبر استثناءً للبند الذي سبقه في حالات تجاوز العدو للخطوط الحمر أو المس بالمدنيين).

7- اعتماد الاقتصاد بالقوى في مطاولة العدو.

8- الاحتفاظ عنصري المبادرة والمبادأة وجعل عنصر المفاجأة أصلاً في مناجزة العدو حيثما يلزم.

9- الاحتفاظ بالأفضلية المعلوماتية والاستمرار في حرمان العدو من المعلومات وتطوير ذلك إلى جعل العدو أعمى في المجال المعلوماتي بالكامل.

10- استخدام الاسلحة الكاسرة والوازنة في المعركة حيثما يلزم مع الحفاظ على اسرار وغموض ما تمتلكه المقاومة من اسلحة جديدة ومتطورة.

11- تحصيل الافضلية والاسبقية في الميدان من خلال المداومة على تنفيذ الوجب من الاسلحة المشتركة.

12- المداومة في الاحتفاظ بغموض الميدان للعدو وسد أي ثغرة قد تطرأ بشكل فوري.

13- الحفاظ على الجهوزية اللازمة لتلبية قرارات القيادة والاستجابة لكل مستويات التصعيد.

خلاصة :

إن تحليل حرب الاستنزاف التي تخوضها المقاومة في معركة الدفاع عن غزة ومساندتها يوصل إلى نتيجة هي أن هذه الجبهة المساندة تجعل جيش العدو جيشين وعقله عقلين وقيادته قيادتين وهذا ما يجب الاضاءة عليه كأحد التطبيقات المشرقة لحروب الاستنزاف التي تعتبر أرشيفاً للدروس المستفادة من المعارك الكبيرة. فالجبهة اللبنانية ساهمت خلال معركة طوفان الأقصى في الأمور العسكرية الاستراتيجية التالية:

1. ساهمت بحرمان العدو من ترميم ردعه.
2. تستمر في نزع المبادرة والاحتفاظ بالمبادأة .
3. مارست مع الجبهتين العراقية واليمنية تشتيت مبدأ الحشد لدى العدو من خلال تطبيقها لحرب استنزاف ممتدة.
4. قسمت وشتتت وحدة القيادة العسكرية الصهيونية إلى قسمين متناقضين قسم يمارس الدفاع في الجبهة اللبنانية وقسم يمارس المناورة الهجومية المقيدة والمشروطة في غزة.